
تعليقات الشيخ صالح بن عبد الله العُصَيْمِي

على كتاب التوحيد

الجزء الأول

٤	كِتَابُ التَّوْحِيدِ	١
٩	بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ ، وَمَا يُكْفَرُ مِنَ الذُّنُوبِ	٢
١٤	بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣
١٩	بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ	٤
٢٣	بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	٥
٢٧	بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ ، وَشَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	٦
٣١	بَابُ مَنْ الشِّرْكَ لُبْسُ الْخَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا ؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْدَعِهِ	٧
٣٥	بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ	٨
٤٠	بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا	٩
٤٤	بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ	١٠
٤٧	بَابُ لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ	١١
٥٠	بَابُ مَنْ الشِّرْكَ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ	١٢
٥٢	بَابُ مَنْ الشِّرْكَ الْأَسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ	١٣
٥٤	بَابُ مَنْ الشِّرْكَ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ	١٤
٥٧	بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴿[الأعراف: 192-191] الآية	١٥

٦٠	بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ : 23] .	١٦
٦٣	بَابُ الشَّفَاعَةِ	١٧
٦٦	بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الفصص : 56]	١٨
٦٩	بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرَكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ	١٩
٧٣	بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبْدَهُ؟!	٢٠
٧٧	بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصِيرُهَا أَوْثَانًا تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ	٢١
٨٠	بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ ، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ	٢٢
٨٣	بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ	٢٣
٨٦	بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّحْرِ	٢٤
٨٩	بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ	٢٥
٩٣	بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ	٢٦
٩٨	بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ	٢٧
١٠٢	بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطْيِيرِ	٢٨
١٠٦	بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ	٢٩
١٠٩	بَابُ مَا جَاءَ فِي الْاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ	٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

- وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات : 56] .
- وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : 36] .
- وَقَوْلُهُ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء : 23] الْآيَةَ .
- وَقَوْلُهُ : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : 36] الْآيَةَ .
- وَقَوْلُهُ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام : 151] الْآيَاتِ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتِمُهُ ؛ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام : 151] ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام : 153] » الْآيَةَ .

وَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ ، فَقَالَ لِي : « يَا مَعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ » ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ : أَنْ لَا يَعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَفَلَا أَبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ : « لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا » . أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

مقصود الترجمة : بيان وجوب التوحيد .



والمراد به أصالة : توحيد العبادة والألوهية ، وغيره تابع له .

■ ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لتحقيق مقصود الترجمة سبعة أدلة .

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : 56] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ؛ فالعبادة إذا أُطلقت في خطاب الشرع فالمراد بها التوحيد .

📖 قال ابن عباس : « كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد » ، ذكره البغوي في « تفسيره » .

■ فالآية تدل على أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي توحيد الله ، وما خُلِقوا له فهم مأمورون به .

■ والأمر للإيجاب ، فيكون التوحيد واجباً .

📌 الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : 36] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما في قوله : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، فهو أمر بالعبادة التي هي التوحيد ، والأمر للإيجاب ، فيكون التوحيد واجباً .

2 والآخر في قوله تعالى : ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ؛ وهو أمر بمباعدة عبادة غير الله ، ولا تتحقق المباعدة إلا بتوحيد الله .

■ فيكون مأموراً به ، والأمر للإيجاب ، فالتوحيد واجب لتوقف مباعدة عبادة غير الله عليه .

📌 الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : 23] الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ مع قوله : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ .

■ فعبادته توحيداً ، والأمر للإيجاب .

📌 الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : 36] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ .

■ فإنه أمر بتوحيده على ما تقدم أن العبادة هي توحيد الله ، والأمر للإيجاب ، فيكون التوحيد واجباً .

2 والآخر : في قوله : ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ .

■ فإنه نهى عن الشرك ، والنهي للتحريم ، والنهي عنه يستلزم إيجاب مقابله وهو التوحيد .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الأنعام : 151] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾

■ فالشرك بالله مما حرمه الله ، وتحريمه يستلزم إيجاب مقابله وهو التوحيد .

الدليل السادس : حديث ابن مسعود أنه قال : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ . . » الحديث . رواه الترمذي وإسناده صحيح .

ودلالته على مقصود الترجمة : في جعله الآيات المذكورة وصية رسول الله ﷺ ، وهي متضمنة النهي عن الشرك المستلزم الأمر بالتوحيد .

■ والمراد أنه أوصى بكتاب الله ، وأعظم ما في كتاب الله : الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ، وجعله وصية يفيد تعظيمه .

■ وليس المراد أنه ترك وصية مكتوبة . فالوصية : اسم لما يُعظم شرعاً وعرفاً .

الدليل السابع : حديث معاذ بن جبل -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : «كنت رديف النبي ﷺ على حمار .» الحديث .

■ أخرجاه في الصحيحين ، أي : في البخاري ومسلم ، فهما المقصودان بالثنية عند الحديث .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ؛

فالحق : اسمٌ في خطاب الشرع لما يُؤمر به .

ذكره ابن القيم في «بدائع الفوائد» ، والأمير الصنعاني في شرح منظومته في أصول الفقه «بغية الأمل» .

■ فإذا وقع ذِكْرُ الحق في خطاب الشرع فهو للإيجاب .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

الثانية : أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ ؛ لِأَنَّ الْخُصُومَةَ فِيهِ .

الثالثة : أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : 3] .

الرابعة : الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ .

الخامسة : أَنَّ الرِّسَالََةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ .

السادسة : أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ .

السابعة : الْمَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ : أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة : 256] الْآيَةُ .

الثامنة : أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

التاسعة : عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ آيَاتِ الْحُكْمَاتِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ ؛ أَوَّلُهَا : النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ .

العاشرة : الْآيَاتُ الْحُكْمَاتُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، وَفِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مَسْأَلَةً ، بِدَأْأِهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخَذُومًا﴾ [الإسراء : 22] ، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء : 39] ، وَنَبِّهَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِقَوْلِهِ : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء : 39] .

الحادية عشرة : آيَةُ سُورَةِ النَّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةُ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ ، بِدَأْأِهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : 36] .

الثانية عشرة : التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ .

الثالثة عشرة : مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْنَا .

الرابعة عشرة : مَعْرِفَةُ حَقِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ .

الخامسة عشرة : أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ .

السادسة عشرة : جَوَازُ كِتْمَانِ الْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ .

السابعة عشرة : اسْتِحْبَابُ بَشَارَةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ .

الثامنة عشرة : الْخَوْفُ مِنَ الْإِتْكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ .

التاسعة عشرة : قَوْلُ الْمُسْتَوَلِّ عَمَّا لَا يَعْلَمُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

العشرون : جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ الْبَعْضِ .

الحَادِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ : تَوَاضَعَهُ ﷺ ؛ لِرُكُوبِهِ الْحِمَارَ مَعَ الْإِرْدَافِ عَلَيْهِ .

الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ : جَوَّازُ الْإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ .

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ : عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ .

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ : فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ .

📌 « الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله »

■ أي : من باب تفسير العام ببعض أفرادهِ .

◆ فالطاغوت يراد به معنى عامٌ وهو كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع .

✍ ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين» .

■ فالمعبودات من دون الله من جملة الطواغيت .

📌 « الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة »

■ أي : لا يعرفون الجزاء على المأمور به من توحيد الله ، فهم جهلوا الجزاء ولم يجهلوا المأمور به .

📌 « التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم »

◆ هذه الكلمة لها موردان :

◆ أحدها : قولها في الكونيات القدريات ، وهذا محرم لاختصاصها في علم الله وحده .

◆ والآخر : قولها في الشرعيات الدينيات ، وهذا جائز لكمال علمه ﷺ بالشرع .

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ ، وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] .

وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ شَهِدَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدَخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » . أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عُبَّانَ : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا ؟ قَالَ : يَا مُوسَى ؛ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرُهُنَّ - غَيْرِي - ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ .

وَلِلتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَنَهُ - عَنْ أَنَسٍ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا ؛ لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

مقصود الترجمة : بيان فضل التوحيد وما يُكفِّرُ من الذنوب .



◆ ويجوز في «ما» وجهان :

1 : أن تكون اسماً موصولاً بمعنى «الذي» ، فتقدير الكلام حينئذٍ : "باب فضل التوحيد والذي يُكفِّرُهُ من الذنوب" .

2 : أن تكون مصدرية ، تُؤوَّلُ مع ما بعدها مصدراً ؛ فتقدير الكلام حينئذٍ : "باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب" .

■ والوجه الثاني أولى من الأول ؛ لدفع توهم أن من الذنوب ما لا يكفره التوحيد ؛ فالتوحيد يكفر الذنوب كلها .

■ والمراد بالتوحيد هنا : توحيد العبادة ؛ ذكره عبد الرحمن بن حسن في «قرة عيون الموحدين» .

ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : 82] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

■ فمن آمن ولم يلبس إيمانه بظلم - أي : بشرك - فجزأؤه الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة .

◆ فمن فضل التوحيد : أنه يُحصَل به الأمن والاهتداء في الدارين .

■ وتفسير الظلم بالشرك ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود .

الدليل الثاني : حديث عبادة بن الصامت أنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَهِدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... » الحديث .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .

■ أي : على ما كان منه من صلاح أو فساد .

◆ فمن فضل التوحيد أن مَنْ مات عليه فمصيبه إلى الجنة .

◆ وإدخال التوحيد أهله الجنة نوعان :

1 أحدهما : إدخال في الحال ، وهو حظ الموحد الذي غلبت حسناته سيئاته ، أو حصل له من فضل الله إذا تساوى أن يغفر له .

2 والآخر : إدخال في المال ، وهذا حظ الموحد المتلطف بما استحق عليه دخول النار ، فإنه إذا دخل النار أخرجه توحيده منها ،

فكان منتهى مآله الجنة .

الدليل الثالث : حديث عتب بن مالك مرفوعاً : « فإن الله حرم على النار مَنْ قال : لا إله إلا الله » الحديث . متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « فإن الله حرم على النار مَنْ قال : لا إله إلا الله » .

◆ فمن فضل التوحيد أنه يحرم صاحبه على النار ، وأشير الى التوحيد بكلمته وهي لا إله إلا الله .

◆ وتحريم التوحيد أهله على النار نوعان :

1 أحدهما : تحريم دخول ، وهذا حظ مَنْ كَمُل توحيده ؛ فإنه وإن كانت له ذنوب يغفرها الله له ، ويُحَرَّم عليه دخول النار .

2 والآخر : تحريم خلود ؛ وهذا حظ الموحد المستحق دخول النار ، فإنه إذا دخلها لا يساوي أهلها بالخلود فيها .

■ فيخرجه توحيده من النار ، ويُحَرَّمه على أن يخلد فيها .

📌 الدليل الرابع : حديث «أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : «قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب! ..» الحديث ، رواه ابن حبان والحاكم في المستدرک ، والأولى العزو الى النسائي وهو مروي بإسناد فيه ضعف ، لكن الجملة منه المتعلقة بفضل التوحيد لها شواهد تحسَّن بها . مثل حديث صاحب البطاقة .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله تعالى في الحديث القدسي المذكور : «مالت بهن لا إله إلا الله» .

💎 فمن فضل التوحيد : أنه يرجح بجميع المخلوقات لثقله .

📌 الدليل الخامس : حديث أنس أنه قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله تعالى . .» الحديث ، رواه الترمذي وإسناده حسن .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله تعالى في الحديث القدسي : «لأيتك بقرابها مغفرة» .

💎 فمن فضل التوحيد أنه تُغفر به الذنوب وتكفر به السيئات .

📎 والقُراب : هو ملء الشيء .

👉 وأشير إلى التوحيد في الحديث بقوله : «لا تشرك بي شيئاً» ، لأن التوحيد يُطلب لنفي الشرك وإبطاله .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : سَعَةُ فَضْلِ اللَّهِ .

الثانية : كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ .

الثالثة : تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ .

الرابعة : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

الخامسة : تَأْمَلِ الْخُمْسَ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عِبَادَةٍ .

السادسة : أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ ؛ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمُغْرُورِينَ .

السابعة : التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ .

الثامنة : كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .

التاسعة : التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْخُلُوقَاتِ ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخْفُفُ مِيزَانُهُ .

العاشرة : النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضِينَ سَبْعُ كَالسَّمَاوَاتِ .

الحادية عشرة : أَنَّ لَهُنَّ عَمَارًا .

الثانية عشرة : إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ ؛ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ .

الثالثة عشرة : أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ : «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» = أَنَّ تَرْكَ الشُّرْكِ لَيْسَ قَوْلُهَا بِاللِّسَانِ .

الرابعة عشرة : تَأْمَلِ الْجُمُعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِ اللَّهِ وَرَسُولَيْهِ .

الخامسة عشرة : مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللَّهِ .

السادسة عشرة : مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ .

السابعة عشرة : مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

الثامنة عشرة : مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ : «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» .

التاسعة عشرة : مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ .

العشرون : مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ .

📌 «السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتيان وما بعده تبين لك معنى قول : «لا إله إلا الله» وتبين لك خطأ المغرورين»

■ أي : تبين لك أن المقصود من قول : لا إله إلا الله ، هو العمل بمقتضاها واعتقاد معناها .

■ فمن لم يعقل هذا وانتسب إلى الإسلام مكتفياً بقولها المجرد دون اعتقاد جازم ولا عمل لازم فإنه من المغرورين .

📌 «الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله»

■ أي : وجد بقوله تعالى : «كن» ، فليس هو الكلمة ، ولكنه وجد بكلمة الله .

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : 120] .

وَقَالَ : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون : 59] .

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدَّعْتُ ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ : ارْتَقَيْتُ ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ : حَدِيثُ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ ابْنِ الْحُصَيْبِ ؛ أَنَّهُ قَالَ : «لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ؛ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلَئِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصَنٍ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : «أَنْتَ مِنْهُمْ» ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » .

مقصود الترجمة : بيان أن مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ .

♦ وأهمل المصنف ذكر نفي العذاب في الترجمة للجزم به إذا انتفى الحساب .

♦ وهو من جملة فضل التوحيد المذكور في الترجمة السابقة ، وأُفرد عنها تعظيماً له في موجهه وفضله .

♦ وتحقيق التوحيد : هو رسوخه وثبوتَه بالسلامة مما ينافي أصله أو كماله .

♦ وجماع ما ينافي التوحيد يرجع إلى ثلاثة أصول :

1 أولها : الشرك .

2 وثانيها : البدعة .

3 وثالثها : المعصية .

■ فالشرك : ينافي التوحيد بالكلية .

■ والبدعة : تنافي كماله الواجب .

■ والمعصية : تقدر فيه وتُنقص من ثوابه .

♦ والمراد بالانفكاك من المعصية : المبالغة في شدة اجتنابها .

♦ لأن العبد كُتب عليه حفظه منها ، فكل بني آدم خطاء .

▼ وهي تقدر في توحيده وتنقص من ثوابه إذا لم يتب منها .

🔗 وتحقيق التوحيد له درجتان :

1 أولاهما : درجة فرض . جماعها : السلامة من المنافيات المتقدمة .

2 والأخرى : درجة نافلة . جماعها : امتلاء القلب بالإقبال على الله والأنس به والانخلاع من كل ما سواه .

📊 وهذا أمر يتفاوت فيه الناس تفاوتاً عظيماً .

💎 وهو أعلى مراتب العبودية .

□ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة ثلاثة أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : 120] ، الآية .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في ذكر أوصاف إبراهيم الدالة على تحقيقه التوحيد .

2 والآخر : في ذكر جزائه في قوله تعالى بعد : ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل : 122] .

✍ قال الزجاج : «الصالح في الآخرة : الفائز» . انتهى كلامه .

■ وغاية الفوز فيها : دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب ، والظفر بلذاتها .

💎 وأعلاها : النظر إلى وجه الله الكريم رزقنا الله وإياكم ذلك .

📌 الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : 59] .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في مدح المؤمنين بهذا مع قوله بعدها : ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ .

■ فالمسارع في الخيرات سابق في المآلات ، وأعظم السبق في المال دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

■ وأحق الموحدين به هم المحققون للتوحيد .

📌 الدليل الثالث : حديث عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ، وهو حديث متفق عليه .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله ﷺ : «ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» .

■ وهو صريح فيما ترجم به المصنف .

■ والدال على تحقيقهم التوحيد : الصفات التي ذكروا بها في قوله ﷺ : «هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، ولا يتطيرون ،

وعلى ربهم يتوكلون» .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ .

الثَّانِيَّةُ : مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ ؟

الثَّالِثَةُ : ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

الرَّابِعَةُ : ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشَّرِّ .

الخَامِسَةُ : كَوْنُ تَرْكِ الرُّقِيَّةِ وَالْكَيِّْ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ .

السَّادِسَةُ : كَوْنُ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ .

السَّابِعَةُ : عُمُقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ .

الثَّامِنَةُ : حِرْصُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ .

التَّاسِعَةُ : فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيفِيَّةِ .

الْعَاشِرَةُ : فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : عَرْضُ الْأُمِّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : قِلَّةُ مَنْ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ .

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ : ثَمَرَةُ هَذَا الْعِلْمِ ، وَهُوَ عَدَمُ الْإِغْتِرَارِ بِالْكَثَرَةِ ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي الْقِلَّةِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : الرُّخْصَةُ فِي الرُّقِيَّةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحِمَةِ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : عُمُقُ عِلْمِ السَّلَفِ ؛ لِقَوْلِهِ : « قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا » ؛ فَعَلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : بَعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الْإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُ : « أَنْتَ مِنْهُمْ » : عِلْمُ مَنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ .

الْعِشْرُونَ : فَضِيلَةُ عُكَّاشَةٍ .

الحَادِيَةَ وَالْعِشْرُونَ : اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِضِ .

الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرُونَ : حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ .

«الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد» 

أي : ترك طلبهما ، لا ترك فعلهما ؛ فالنبي ﷺ رقى وكوى غيره . 

«السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة» 

الحمة : سُم كل شيء يلدغ أو يلسع . 

«الحادية والعشرون : استعمال المعارض» 

المعارض : هي الكلام المتضمن إطلاق لفظ يوهم معنى مع إرادة غيره . 

بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشَّرِّ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : 48] .
وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : 35] .
وَفِي الْحَدِيثِ : «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ : الشَّرُّ الْأَصْغَرُ ، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ : الرِّيَاءُ» .
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نَدَاءً ؛ دَخَلَ النَّارَ» . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .
وَلِإِسْلَامٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» .

مقصود الترجمة : إبعاد نفوس الخلق عن الشرك كله بتخويفها منه ليحذروه .

■ والشرك في الشرع يُطلق على معنيين :

1 أحدهما : عام ؛ وهو جعل شيء من حق الله لغيره .

2 والآخر : خاص ؛ وهو جعل شيء من العبادة لغير الله .

🔗 وينقسم الشرك باعتبار قدره إلى قسمين :

1 أحدهما : الشرك الأكبر ، وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه أصل الإيمان .

2 والآخر : الشرك الأصغر ، وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه كمال الإيمان .

◆ ومعرفة ذلك توجب الحذر منه ؛

■ لأنه يرجع على العبد تارة بإبطال أصل إيمانه فيخرج من الإسلام ،

■ وترجع عليه تارة أخرى بنفي كمال إيمانه فيكون ناقص الإيمان ،

وما كان منتجاً النقص أو النقض فهو حقيق بالخوف منه .

❌ ولا فرق بين كبيره وصغيره ؛ فإن القسمة المذكورة ، للنظر فيما تفيد من بقاء العبد في دائرة الإسلام أو خروجه منه .

👉 لا لتهوين الشرك .

ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : 48] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ .

فالشرك لا يغفره الله ، وما دونه على رجاء مغفرة ، وما كان كذلك فهو حقيق بالخوف منه .

والشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك كله ؛ أكبره وأصغره في أصح القولين ، لأن الفعل المضارع مؤول مع 'أن' مصدراً .

فيكون بمعنى : إن الله لا يغفر شركاً به ، وهو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبْ بَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : 35] .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في كون الداعي بما ذكر هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الموصوف بتحقيق التوحيد .

2 والآخر : كون المدعو به هو تجنبه وبنيه عبادة الأصنام ، وإنما يدعى بالتجنب فيما يخاف منه .

فإذا كان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مع علو مقامه في التوحيد خائفاً من الشرك فغيره أولى بالخوف .

الدليل الثالث : حديث محمود بن لبيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . »

الحديث ، رواه أحمد وإسناده حسن .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « أخوف ما أخاف عليكم » .

وهو ظاهر المطابقة للترجمة بما فيه من التصريح بخوفه ﷺ علينا من الشرك .

الدليل الرابع : حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ نَدَاءً . . » . الحديث . رواه البخاري .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «دخل النار» .

وما كان موجباً دخول النار وجب الخوف منه ، فالشرك مما يجب الخوف منه .

وإدخال الشرك العبد إلى النار نوعان :

1 أحدهما : إدخال تأميد ، فيدخلها إلى أمد ثم يخرج منها .

وهذا لمن كان له شرك أصغر لم يغفره الله رجح مع سيئاته فأدخله النار ، فيدخلها ثم يُخرج منها .

2 والآخر : إدخال تأبيد ، فيدخلها إلى أبد الآبدين ولا يخرج منها .

وهذا حظ أهل الشرك الأكبر .

الدليل الخامس : حديث جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ . . » . الحديث . رواه مسلم .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «ومَنْ لَقِيَهُ يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ» .

وما كان موجباً دخول النار وجب الخوف منه ، فالشرك يدخل العبد النار فيجب الخوف منه .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : الخُوفُ مِنَ الشُّرْكِ .

الثَّانِيَّةُ : أَنَّ الرِّبَاءَ مِنَ الشُّرْكِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ أَخَوْفُ مَا يَخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ .

الخَامِسَةُ : قُرْبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

السَّادِسَةُ : الْجُمُعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ .

السَّابِعَةُ : أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ .

الثَّامِنَةُ : الْمَسْأَلَةُ الْعَظِيمَةُ : سُؤَالُ الْخَلِيلِ لَهُ وَلَبْنِيهِ وَقَايَةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .

التَّاسِعَةُ : اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الْأَكْثَرِ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلْنِ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: 36]

الْعَاشِرَةُ : فِيهِ تَفْسِيرُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشُّرْكِ .

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : 108] الآية .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وفي رواية : إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ ؛ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ ، فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فِترَةً عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ ، فَيَاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » . أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : « أَيُّنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » ، فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتِي بِهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ؛ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ : « أَنْفُذْ عَلَى رَسُولِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » .

«يَدُوكُونَ» أَيَّ يَخُوضُونَ .

مقصود الترجمة : بيان وجوب الدعوة إلى توحيد الله .

وأشار المصنف إلى التوحيد بكلمته ، وهي : « لا إله إلا الله » .

فالدعوة إلى التوحيد واجبة .

■ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة ثلاثة أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف : 108] الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ ، أي : سبيل محمد ﷺ .

■ وكانت سبيله الدعوة إلى توحيد الله ، فالداعي إلى التوحيد من بعده مُقْتَدَ به .

2 والآخر : في قوله : ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ ، فالدعوة الممدوحة هي الكائنة على بصيرة .

■ ولا بصيرة أعظم من الدعوة إلى التوحيد ، والدعوة المسلوقة الدعوة إلى التوحيد دعوة مطموسة لا خير فيها .

📌 الدليل الثاني : حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ « لما بعث معاذ إلى اليمن . . » الحديث . رواه البخاري ومسلم .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » .

■ وهو صريح في مقصود الترجمة ، لأمره ﷺ معاذاً أن يبتدأهم بالدعوة إلى التوحيد ، والأمر يفيد الإيجاب .

📌 الدليل الثالث : حديث سهل بن سعد في فتح خيبر : « لَأُعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا . . . » . رواه البخاري ومسلم .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : « ثم ادعهم إلى الإسلام » ، فإن حقيقة الإسلام هي الاستسلام لله بالتوحيد .

■ ففيه الأمر بدعوتهم إليه والأمر للإيجاب .

2 والآخر : في قوله : « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه » ، أي : في الإسلام .

■ وأعظم حق الله في الإسلام : توحيده ، فالدعوة إليه هي من أوجب الواجبات .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ طَرِيقُ مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

الثَّانِيَةُ : التَّنْبِيهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْبَصِيرَةَ مِنَ الْفَرَائِضِ .

الرَّابِعَةُ : مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ كَوْنُهُ تَنْزِيهًا لِلَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمُسَبَّةِ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ مَنْ قُبِحَ الشِّرْكَ كَوْنُهُ مُسَبَّةٌ لِلَّهِ .

السَّادِسَةُ : - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا - إِبْعَادُ الْمُسْلِمِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ ؛ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ .

السَّابِعَةُ : كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الصَّلَاةِ .

التَّاسِعَةُ : أَنَّ مَعْنَى : « أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ » : مَعْنَى شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا ، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : الْبَدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَصْرَفُ الزَّكَاةِ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كَشْفُ الْعَالَمِ الشَّبِيهِ عَنِ الْمُتَعَلِّمِ .

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ : النَّهْيُ عَنِ كِرَائِمِ الْأَمْوَالِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : اتِّقَاءُ دَعْوَةِ الْمُظْلُومِ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : الْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : مِنْ أَدَلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الرُّسُلِ وَسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ .

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُ : « لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ . . . » إلخ ، عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ .

الْعِشْرُونَ : تَقْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ : عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا .

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوَكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بَشَارَةِ الْفَتْحِ .
 الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ؛ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا ، وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى .
 الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْأَدَبُ فِي قَوْلِهِ : « عَلَى رِسْلِكَ » .
 الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ .
 السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دَعَا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُتِلُوا .
 السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالْحُكْمَةِ لِقَوْلِهِ : « أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ » .
 الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ .
 التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنْ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .
 الثَّلَاثُونَ: الْحَلْفُ عَلَى الْفُتْيَا .

📌 « السادسة : وهي - من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين ، لا يصير منهم ؛ ولو لم يشرك »

■ أي : إذا لم يتبرأ من المشركين صار منهم ولو لم يُشرك .

■ فإن من عقيدة التوحيد البراءة من الشرك .

■ وحقيقة البراءة من الشرك وأهله بيان بطلان دينهم .

■ فمن ساكنهم دون البراءة من دينهم فقد صار منهم ولو لم يُشرك .

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ ، وَشَهَادَةِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء : 57] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف : 26 - 27] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة : 31] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة : 165] الآية .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ = حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» .

وَشَرَحَ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ : مَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ .

مقصود الترجمة : بيان حقيقة التوحيد بتفسيره وإيضاح معنى «لا إله إلا الله» .

■ والمراد بالتوحيد هنا : هو توحيد العبادة ، لأنه المقصود بالذات في تصنيف الكتاب .

✍ ذكره ابن قاسم العاصمي في حاشيته على التوحيد .

□ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

🔪 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء : 57] الآية

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ .

■ فحقيقة التوحيد : إفراد الله وحده في العبادة بالتوجه إليه .

■ فهو لاء المعظمون عند الناس من الأنبياء ، والملائكة ، والصالحين ، هم متوجهون إلى الله يريدون منه .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ الآية [الزخرف : 26 - 27] .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿ إِنِّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، ففيه إبطال الآلهة سوى الله أنها لا تُعبد .

2 والآخر : في قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي . ﴾ ، ففيه إثبات العبادة لله وحده .

فالأيتان جامعتان بين النفي والإثبات .

والنفي : في إبطال عبادة غير الله ، والإثبات : في إثبات العبادة لله وحده .

وهذا معنى لا إله إلا الله ، ف « لا إله » إبطال جميع ما يُعبد من دون الله ونفيه ، و « إلا الله » إثبات العبادة لله وحده .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ [التوبة : 31] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في تتمتها : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

فجعل الله عز وجل عبادته : إفراده بالتوحيد ، أنها هي التي أمر بها أهل الكتاب .

وأكد هذا بقوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

ثم أكد هذا بتنزيه نفسه عما يصنعه المشركون من دعاء غيره ، فقال : ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ .﴾ [البقرة : 165] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

■ فحقيقة التوحيد إفراد الله بالعبادة ، وهو الذي فعله المؤمنون في محبتهم له في قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

■ فهم يفردونه بمحبتهم ولا يشركون به .

■ بخلاف حال المشركين الذين يزعمون أنهم يحبون الله ، ثم يحبون آلهة يتألهون لها من دونه .

الدليل الخامس : حديث طارق بن أشيم الأشجعي أن النبي ﷺ قال : «مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .» الحديث . رواه مسلم .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله مَنْ قَالَ : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

■ أي : قولاً موافقاً مراد الشرع منها ، وهو إثبات العبادة لله وحده ، ونفيها عن غيره وهذا تفسير التوحيد .

2 والآخر : في قوله : «وكفر بما يُعبد من دُونِ اللَّهِ» .

■ فإن التوحيد لا يصح إلا بإبطال عبادة غير الله .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا - وَهُوَ تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ ، وَبَيْنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ :

مِنْهَا : آيَةُ الْإِسْرَاءِ ، بَيْنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ ، فَبَيْنَهَا بَيَانٌ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ .

وَمِنْهَا : آيَةُ بَرَاءَةٍ ، بَيْنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَبَيْنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ : طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ فِي الْمَعْصِيَةِ ، لَا دَعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ .

وَمِنْهَا : قَوْلُ الْحَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِلْكَفَّارِ : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف : 26 - 27] الْآيَةِ ، فَاسْتَشْنَى مِنَ الْمُعْبُودِينَ رَبَّهُ ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمُوَالَاةُ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : 28] .

وَمِنْهَا آيَةُ الْبَقَرَةِ فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : 167] ، ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَكَيْفَ يَمُنُّ أَحَبُّ النَّدِّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟ وَكَيْفَ يَمُنُّ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النَّدَّ وَحْدَهُ؟ وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ؟!

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ : «مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ = حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» .

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَبَيِّنُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا ، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يُضَيَّفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ ؛ لَمْ يَحْرُمْ مَالَهُ وَلَا دَمَهُ .

فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَجَلَّهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازَعِ؟!

المصنف هنا قال : فيه مسائل : ثم ذكر واحدة ، لماذا؟ ما وجه ذلك؟ لذلك وجهان :

1 أحدهما أنه عبر بالجمع عن الواحد تعظيماً له ، فهي منزلة عظيمة بمنزلة مسائل ، فهي مسألة واحدة بمنزلة مسائل .

2 والآخر : أنه ترك استنباط باقيها للمتلقي معلماً ومتعلماً .

بَابُ مِنَ الشَّرِكِ لُبْسُ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوَهُمَا ؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ [الزمر: 38] الْآيَةَ .
عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةً مِنْ صُفْرِ ، فَقَالَ : « مَا هَذِهِ ؟ » ، قَالَ : مِنْ الْوَاهِنَةِ ، فَقَالَ : « انْزِعْهَا ؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ .
وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ » .
وَفِي رِوَايَةٍ : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » .
وَلَا بِنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَى ، فَقَطَعَهُ ، وَتَلَا قَوْلَهُ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106] .

مقصود الترجمة : بيان أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه من الشرك .

لا بَسَ الحَلَقَةُ وما في معناها له حالان :

1 أولاهما : لبسها للرفع ، وهو إزالة البلاء بعد نزوله .

2 والآخرى : لبسها للدفع ، وهو منع نزول البلاء .

وكلا الحالين من الشرك .

والتعاليق من الشرك الأصغر لأمرين :

1 أحدهما : اعتقاد السببية في ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً .

2 والآخر : التعلق بما يُتوهم ولا حقيقة له .

ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 38] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ .

■ ففيه إبطال التعلق بما لا حقيقة له في النفع والضرر .

■ كمعبودات المشركين وما يلتحق بها من لبس الحلقة والخيطة ونحوهما ، إذ لا أثر لهن في كشف الضرر .

الدليل الثاني : حديث عمران بن حصين «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر .» الحديث ، رواه أحمد ، وهو

عند ابن ماجه مختصراً وفي إسناده ضعف . والواهنة المذكورة فيه : هي عرق يضرب في المنكب أو اليد أو العضد منها .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فإنك لو مُت ، ما أفلحت أبداً» .

■ والفلاح هو الفوز ■ وموجب نفيه : تعليقه الحلقة .

ونفي الفلاح له معنيان :

1 أحدهما : امتناع حصوله مع وجود تلك التعاليق .

2 والآخر : تباعد حصوله مع وجود تلك التعاليق .

والمعنى الأول : في حق من علّق الحَلَقَة على اعتقاد أنها تستقل في النفع والضرر من دون الله .

■ فهذا لا يفلح أبداً .

والمعنى الثاني : في حق من اعتقد أن الحَلَقَة سببٌ فقط وأن النفع والضرر بيد الله .

■ فهذا يتخوف عليه ما وقع عليه من الشرك الأصغر الذي لا يخرج به من الإسلام .

الدليل الثالث : حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةَ فَلَا أَمَّ لِلَّهِ لَهُ» الحديث . رواه أحمد وإسناده حسن .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فلا أم الله له» ، وقوله : «فلا ودع الله له» ، أي : لا ترك الله له .

فالدعاء عليه مؤذن بحرمة فعله الذي فعل من التعاليق ، فمطابقة الحديث الترجمة ظاهرة .

الدليل الرابع : حديث عقبة بن عامر أيضاً مرفوعاً : «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةَ فَقَدْ أَشْرَكَ» . رواه أحمد وإسناده حسن .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فقد أشرك» .

وهذا صريح فيما ترجم به المصنف ، أن التعاليق من الشرك .

الدليل الخامس : حديث حذيفة : «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خِيْطٌ مِنَ الْحُمَى فَقَطَعَهُ . .» الحديث . رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، وإسناده ضعيف .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قراءة حذيفة الآية المصدقة الحال .

فالحال التي كان عليها متعلق الخيط من الحمى حال شرك .

فله نصيب من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106] .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الْحُلَّةِ وَالْخِطِّ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ .

الثَّانِيَّةُ : أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ ؛ فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكِبَائِرِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالْجُهَالَةِ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ ؛ بَلْ تَضُرُّ ؛ لِقَوْلِهِ : «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا» .

الخَامِسَةُ : الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ .

السَّادِسَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكُلَّ إِلَيْهِ .

السَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ تَعْلِيْقَ الْخِطِّ مِنَ الْحُمَى مِنْ ذَلِكَ .

التَّاسِعَةُ : تِلَاوَةُ حَذِيفَةَ الْآيَةِ : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالْآيَاتِ الَّتِي فِي الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ عَلَى الْأَصْغَرِ ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ تَعْلِيْقَ الْوَدَعِ عَنِ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ .

الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ : الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللَّهَ لَا يَتِمُّ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ ؛ أَيُّ تَرَكَ اللَّهُ لَهُ .

«التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن

عباس في آية البقرة» ■ وذلك لاشتراكهما في أصلهما وهو جعل شيء من حق الله لغيره .

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا : «أَلَا يَبْقَيْنِي فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ - أَوْ : قِلَادَةً - إِلَّا قُطِعَتْ» .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّهَ شِرْكٌ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا : «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

التَّمَائِمُ : شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ عَنِ الْعَيْنِ ؛ لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَّخَصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَرْخَصْ فِيهِ ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمُنْهَيِّ عَنْهُ ؛ مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَالرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ ، وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشَّرْكِ ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحَمَةِ . وَالتَّوَلَّهَ : شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا ، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا رُوَيْفَعُ ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مِنْ عَقْدِ لَحِيَّتِهِ ، أَوْ تَقْلَدٍ وَتَرًا ، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحْدَثًا بَرِيءًا مِنْهُ » .
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ » . رَوَاهُ وَكِيعٌ .
وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : « كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا ؛ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ » .

مقصود الترجمة : بيان حكم الرقى والتمايم .

والرقى : جمع رقية ، وهي العودَة التي يُعوذ بها من الكلام .

والتمايم : جمع تيمة ، وهي : العودَة التي تُعلّق لتتميم الأمر ، جلبًا لنفع أو دفعًا لضرر .

والعودَة : اسم لما تُطلب الحماية به ؛ فأصل الاستعاذة : الاعتصام والالتجاء .

ولم يصرح المصنف رحمه الله بحكم الرقى والتمايم لأمرين :

1 أحدهما : حث المتعلم على معرفة أحكامهما من الأدلة التي ذكرها .

2 والآخر : إختلاف أنواعها المؤدي الى إختلاف أحكامها .

■ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة ستة أدلة :

📌 الدليل الأول : حديث أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره .. الحديث ، رواه البخاري ومسلم .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «إلا قُطعت» .

■ فالأمر بقطعها دال على حرمة تلك التعاليق ، وكانت العرب تعلق القلائد في أعناق الإبل لدفع العين .

■ فبين هذا الحديث حكم التمايم .

📎 والوتر : هو حبل القوس الذي يُشد به السهم حين الرماية به .

📌 الدليل الثاني : حديث ابن مسعود أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقي والتمايم والتولة شرك» ، رواه أحمد وأبو داود ، وهو حديث صحيح .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «شرك» ، حكماً على الرقي والتمايم والتولة .

■ وإطلاق اسم الشرك عليهن هو باعتبار المعروف منهن معهوداً عند أهل الجاهلية .

■ فما كان عندهم من الرقي والتمايم والتولة هو شرك ، فلم يرد النبي ﷺ حكماً عاماً يشمل جميع الأفراد .

🔹 وأما باعتبار حقيقة الأمر فإن هذه المذكورات تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 أولها : ما هو شرك ، وهو التَّوَلَّ .

■ والمقصود بها : ما يُصنع من السحر صرفاً وعطفاً لتحقيق الحبة بين الزوجين .

2 وثانيها : ما منه ما هو شرك ، ومنه ما هو مشروع : وهو الرقي ؛ فالمشتمل منها على الشرك شرطي ، والخالى منه لا بأس به .

■ لما في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك ، أن النبي ﷺ قال : «لا بأس بالرقي ما لم تكن شركاً» .

3 وثالثها : ما منه ما هو شرك ، ومنه ما هو محرم ، وهو التمايم .

◆ فإن التمايم نوعان :

1 أحدهما : التمايم الشركية ، وهي المشتملة على الشرك .

2 الآخر : التمايم المحرمة ، وهي التي لا تشتمل على الشرك مثل التمايم القرآنية .

■ بأن يجعل شيء من القرآن في شيء يحفظه ، ثم يُعلّق في المرء صغيراً أو كبيراً وهذا محرمٌ ، لقول النبي ﷺ : «من تعلق تيممة فلا أتم الله له» . وسبب جعلها محرمة كون المعلق سبب شرعي ، وتم اتخاذ هذا السبب الشرعي على صورة غير مشروعة في أصح قولي العلماء . فتكون التعليقات القرآنية محرمةً .

■ ولا تكون شركاً إلا في حال واحدة ، وهي إذا كان توجه المعلق إلى صورة التعليق ، لا المعلق .
✍ وهو اختيار شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى .

✍ الدليل الثالث : حديث عبد الله بن عكيم أن النبي ﷺ قال : «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ» . حديث حسن .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «وَكَلَّ إِلَيْهِ» .

■ فإن مَنْ وَكَلَّ إِلَى غير الله هلك ، فتلك التعليقات محرمة لأنها مؤدية إلى الهلاك .

✍ الدليل الرابع : حديث رويفع أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا رويفع . . .» الحديث . رواه أحمد - كما عزاه إليه

المصنف - ، وهو عند أبي داود والنسائي والعزو إليهما ، وإسناده صحيح .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرّاً» ، مع قوله : «فإن محمداً بريء منه» .

■ وبرأته ﷺ من الفاعل دالة على حرمة فعله أشد التحريم وأنه من الكبائر .

الدليل الخامس : حديث سعيد بن جبير أنه قال : « مَنْ قَطَعَ نَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ . » الحديث . رواه وكيع في جامعه ، وابن أبي شيبه في مصنفه ، وإسناده ضعيف .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : « كعدل رقبة » .

■ أي : كإعتاق رقبة مملوكة ، بإخراجها من ذل الرق إلى عز الحرية .

■ فجعل تحرير القلب من رق الشرك بهذه المنزلة .

■ والأمر بقطعها دالٌّ على حرمة تعليقها .

الدليل السادس : حديث إبراهيم - وهو النخعي أحد التابعين - أنه قال : « كانوا يكرهون التمايم كلها . » الحديث . رواه ابن أبي شيبه في المصنف ، وإسناده صحيح .

■ ومراد إبراهيم بقوله : « كانوا » أصحاب ابن مسعود ، وهذا من عادته في الخبر عنهم فإنهم كانوا أشياخه من أهل الكوفة .

■ كعلقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، ومسروق بن الأجدع ، وكانوا على هدي ابن مسعود ، فإن إبراهيم كان بهم حفيماً .

■ فيخبر إبراهيم كثيراً عنهم بالجمع ، فيقول تارة : « كانوا يكرهون » ، ويقول تارة : « كانوا يضربوننا » ،

ويقول تارة : « كانوا يرون » ، ويقول تارة : « كانوا يقولون » .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « كانوا يكرهون التمايم كلها . » .

■ فالكرهية في عرف السلف : الحرمة .  ذكره ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم وابن رجب .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ الرُّقَى وَتَفْسِيرُ التَّمَائِمِ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ التَّوَلَّةِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كُلُّهَا مِنَ الشُّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ الرُّقِيَّةَ بِالْكَلامِ الْحَقِّ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا ؟

السَّادِسَةُ : أَنَّ تَعْلِيْقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ مِنَ الْعَيْنِ : مِنْ ذَلِكَ .

السَّابِعَةُ : الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًّا .

الثَّامِنَةُ : فَضْلُ ثَوَابٍ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ .

التَّاسِعَةُ : أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يَخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

الأولى : تفسير الرقى وتفسير التمايم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء .

👉 أي : باعتبار العُرف المعهود عند أهل الجاهلية ، لما تقدم أنه ﷺ قال : « لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً » ، فكيف يقول

النبي ﷺ هذا ثم تكون كلها شركاً بالاستثناء ، إلا إذا حُمِلت عن المعهود الذي تعرفه العرب منها وهذا وجه كلام المصنف .

بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النَّجْم: 19-20] الْآيَاتِ .

عَنْ أَبِي وَقَدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَنِينٍ، وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوِطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا (ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

مقصود الترجمة: بيان أن التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها من الشرك، أو بيان حكمه .

■ فإنه يجوز في «مَنْ» وجهان:

- 1 أحدهما: تكون شرطية؛ فيكون تقدير الكلام: «مَنْ تَبَرَّكَ... فقد أشرك»، ويُقدَّرُ جواب الشرط محذوفاً.
- 2 والآخر: أن تكون اسماً موصولاً: فيكون تقدير الكلام: باب الذي تَبَرَّكَ بشجرة أو حجر ونحوهما .

◆ والتبرك: تَفَعَّلَ من البركة، أي طلبُ لها، وهي كثرة الخير ودوامه .

🔗 والتبرك يكون شركاً في حالين:

- 1 أحدهما: أن يكون شركاً أكبر، إذا اعتقد في المتبرِّك به استقلاله بفيض الخير وإعطائه .
- 2 والآخر: أن يكون شركاً أصغر، وله صورتان:

◆ الأولى: أن يتبرك بما ليس سبباً للبركة، فأسباب البركة مقدرة شرعاً فقط .

◆ والثانية: رفع السبب المتبرك به فوق قدره المأذون به شرعاً، وهو الاستبشار به والاطمئنان إليه .

👉 والمأذون بالتبرك به يكون على الوجه المشروع فقط، وإلا فهو محرم إذا كان على غير الوجه المشروع .

■ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة دليلين :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: 19-20] الآيات .

● ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ .

■ ففيه إبطال ما كان يتبرك به المشركون من الأحجار والأشجار .

📎 واللات : صخرة بيضاء منقوش عليها .

📎 والعزى : شجرة سمر عظيمة .

📌 الدليل الثاني : حديث أبي واقد الليثي : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين...» الحديث رواه الترمذي بإسناد صحيح .

● ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ

إِلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾» ؛ ■ ففيه بطلان التبرك بالأشجار .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ النُّجْمِ .

الثَّانِيَّةُ : مَعْرِفَةُ صُورَةِ الْأَمْرِ الَّذِي طَلَّبُوا .

الثَّالِثَةُ : كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا .

الرَّابِعَةُ : كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ .

الخَامِسَةُ : أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا ؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ .

السَّادِسَةُ : أَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لغيرِهِمْ .

السَّابِعَةُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ ؛ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ! إِنَّهَا السُّنَنُ ! لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » ؛ فَغَلَّظَ الْأَمْرَ بِهِذِهِ الثَّلَاثَ .

الثَّامِنَةُ : الْأَمْرُ الْكَبِيرُ - وَهُوَ الْمُقْصُودُ - أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

التَّاسِعَةُ : أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أَوْلَيْكَ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الْفُتْيَا ، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ الشُّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِذَلِكَ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُمْ : « وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ » ؛ فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ ؛ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : سَدُّ الذَّرَائِعِ .

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة: القاعدة الكلية ؛ لقوله : « إنها السنن » .

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة ؛ لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن ؛ أنه لنا .

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما (من ربك؟) فواضح ، وأما (من نبيك؟) ؛ فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأما (ما دينك؟) فمن قولهم : ﴿ اجعل لنا إلهاً ... ﴾ [الأعراف : 138] إلى آخره .

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ؛ لقوله : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

التاسعة : أن نفي هذا من معنى ﴿ لا إله إلا الله ﴾ مع دفته وخفائه على أولئك ؛ أي نفي اعتقاد البركة في الأشجار والأحجار من معنى ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ، لأن حقيقتها أن تتعلق بالله وحده لا بالأوهام والخيالات .

« العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر » ، أي على أمر الله ورسوله ﷺ ؛ فلم يبتدؤوا العبادة وسألوها النبي ﷺ .

« أما (من ربك؟) فواضح » : أي واضح من كونهم لم يطلبوا رباً وإنما طلبوا ما يُتبرك به تقرباً إلى ربهم .

« وأما (من نبيك؟) فمن إخباره بأنباء الغيب » ، يعني : من إخباره بقصة موسى عليه الصلاة والسلام وبني إسرائيل .

« وأما (ما دينك؟) فمن قولهم : ﴿ اجعل لنا إلهاً ﴾ . . إلى آخره » ، لأن الرسول يبلغ الدين ويأمر به ، فالجوعول لهم من كيفية العبادة هو الدين .

بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162-163] الآية .
وَقَوْلُهُ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 2] .

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحَدَّثًا ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ » ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَقْرُبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ ، قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَقْرَبُ ، قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ؛ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ : قَرِّبْ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

مقصود الترجمة : بيان حكم الذبح لغير الله .



ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة :



الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي . .﴾ الآية .



ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿وَنُسُكِي﴾ أي ذبحي ، مع قوله : ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .



فالذبح يكون عبادة لله وحده ، وإذا جعلت العبادة لغير الله وقع العبد في الشرك .



فمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ .



الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ ، أي اذبح .

■ والأمر بالذبح دليل على كونه عبادة ؛ فتقدير الآية : وانحر لربك ، وإذا جعلت العبادة لغير الله وقع العبد في الشرك .

■ فمن ذبح لغير الله فقد أشرك .

الدليل الثالث : حديث علي رضي الله عنه قال : « حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات . » الحديث رواه مسلم .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

■ واللعن لا يكون إلا على فعلٍ مُحَرَّمٍ أشد التحريم ، مما يسمى كبيرة .

■ فالذبح لغير الله كبيرة .

◆ واسم الكبيرة في خطاب الشرع يشمل الشرك فما دونه .

الدليل الرابع : حديث طارق بن شهاب : أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل في ذباب ... » الحديث . رواه أحمد في

عزو المصنف . وإطلاق العزو إليه يقتضي أن يكون في « المسند » لكنه مفقود منه ، وإنما رواه في كتاب الزهد من حديث طارق بن

شهاب عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « دخل رجل » ، وإسناده صحيح . ■ ومثله لا يقال من قبل الرأي لأنه إخبار عن

الغيب ، فله حكم الرفع .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « فقرَّب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار » .

■ أي ذبح لصنمهم متقرباً فوق في الشرك فدخل النار . ■ فمن ذبح لغير الله فقد أشرك .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام : 162] .

الثانية : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر : 2] .

الثالثة : الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةٍ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ .

الرابعة : لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَمِنْهُ : أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَيِ الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ .

الخامسة : لَعْنُ مَنْ أَوَى مُحَدَّثًا : وَهُوَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللَّهِ ؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ .

السادسة : لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تَفَرَّقُ بَيْنَ حَقِّكَ مِنَ الْأَرْضِ وَحَقِّ جَارِكَ ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ .

السابعة : الْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ الْمُعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ .

الثامنة : هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ .

التاسعة : كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ ؛ بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ .

العاشرة : مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشُّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طَلِبِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ؟!

الحادية عشرة : أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا ؛ لَمْ يَقُلْ : «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُّبَابٍ» .

الثانية عشرة : فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» .

الثالثة عشرة : مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، حَتَّى عِنْدَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .

📌 «التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده» ، أي : لم يقصد التقرب به ابتداءً ، ولما حُسِّنَ له فعله تقرب به .

📌 «الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبادة الأصنام» ، لأن ذبح الذباب لا منفعة فيه بأكل ولا بغيره ، لكن مقصود أولئك المشركين تعظيم الخلق لصنمهم .

بَابُ لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108] الآية .

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَّ إِبِلًا بِبَوَانَةَ ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» ، قَالُوا : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرَطِهِمَا .

مقصود الترجمة : بيان تحريم الذبح لله في مكان يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ .

و"لا" في الترجمة تحتل معنيين :

- 1 أحدهما : أن تكون نافية ، فيكون الفعل بعدها مرفوعاً .
 - 2 والآخر : أن تكون ناهية ، فيصير الفعل بعدها مجزوماً .
- 👉 واستظهر كونها للنهي حفيد المصنف عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ، مع كون النفي نهياً وزيادة .
- 👉 لأن النهي هو أصل وضع خطاب الشرع في التحريم .

وتحريم الذبح بمكان يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وقع لأمرين :

- 1 توقي مشابهة المشركين في عبادتهم .
- 2 حسم مادة الشرك وسد الذرائع المفضية إليه .

■ ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة دليلين :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108] الآية .

● نهيا للنبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار لأنه مؤسس على معصية الله .

■ ومثله المكان الذي يذبح فيه لغير الله ، لأنه مؤسس على معصية الله .

📌 الدليل الثاني : حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أنه قال : «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة . .» الحديث . رواه أبو داود وإسناده صحيح .

● ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد» ، وقوله : «فهل كان فيها عيد من أعيادهم» ، ففيه تحريم الذبح في مكان أُسس على معصية الله .

■ والأماكن التي يذبح فيها لغير الله هي من جملة الأماكن المؤسسة على معصية الله .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة : 108] .

الثانية : أَنَّ الْمُعْصِيَةَ قَدْ تَوَثَّرَتْ فِي الْأَرْضِ ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ .

الثالثة : رَدُّ الْمَسْأَلَةِ الْمُشْكَلَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْبَيِّنَةِ ؛ لِزَوَلِ الْإِشْكَالِ .

الرابعة : اسْتِفْصَالُ الْمُفْتَيِّ إِذَا احْتَجَّ إِلَى ذَلِكَ .

الخامسة : أَنَّ تَخْصِيصَ الْبَقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ ؛ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ .

السادسة : الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

السابعة : الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ .

الثامنة : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ الْبَقْعَةِ ؛ لِأَنَّهُ نَذْرٌ مُعْصِيَةٍ .

التاسعة : الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ .

العاشرة : لَا نَذْرَ فِي مُعْصِيَةٍ .

الحادية عشرة : لَا نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ .

بَابُ مِنَ الشَّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الْإِنْسَان: 7] .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: 270] .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ» .

مقصود الترجمة : بيان أن النذر لغير الله من الشرك .

ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة ثلاثة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾

ودلالته على مقصود الترجمة : في مدح المؤمنين بوفائهم بالنذر .

■ وما مُدَح فاعله في خطاب الشرع فهو عبادة . ■ فالنذر لله عبادة ، وإذا جُعِلَ لغيره صار شركاً .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ...﴾ الآية

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ، أي علم ثواب وجزاء .

■ وما أُنْفَقَ عليه بجزاء الحسنى فهو عبادة ، ■ وإذا جُعِلَ لغيره فهو شرك .

الدليل الثالث : حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ...» الحديث . متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فليُطِعهُ» .

■ فالنذر عبادة لله ، وإذا جُعِلَت العبادة لغيره وقع العبد في الشرك .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : وَجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ .

الثَّانِيَّةُ : إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لِلَّهِ ، فَصَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ شُرْكٌ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ نَذَرَ الْمُعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ .

📌 «الأولى : وجوب الوفاء بالنذر» ، ■ أي إذا كان نذر طاعة ، لأن 'ال' في 'النذر' عهدية .

📌 «الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله ، فصرفه إلى غيره شرك» ■ هذه قاعدة من قواعد التوحيد .

بَابُ مِنَ الشَّرِّكَ الْأَسْتِعَاذَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] .
وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرِحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» . رواه مُسْلِمٌ .

مقصود الترجمة : بيان أن الاستعاذة بغير الله من الشرك . 

ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة دليلين : 

الدليل الأول : قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ...﴾ الآية . 

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ بعد قول مؤمني الجن : ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ، ثم ذكروا من شركهم استعاذة الإنس بالجن ، فمن الشرك بالله الاستعاذة بغيره . 

الدليل الثاني : حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ...» الحديث . رواه مسلم . 

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «أعوذ بكلمات الله التامات» . 

فلاستعاذة بالله وبأسمائه وصفاته عبادة ، والعبادة إذا جعلت لغير الله فهي شرك . 

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ الْآيَةِ .

الثَّانِيَّةُ : كَوْنُهُ مِنَ الشُّرْكِ .

الثَّالِثَةُ : الاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ اسْتَدْلَوْا بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ ؛ قَالُوا : لِأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شُرْكٌ .

الرَّابِعَةُ : فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنَفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ - مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ - ؛ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشُّرْكِ .

«الخامسة : أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك»

لأن العرب كانوا إذا نزلوا واديا استعاذوا بسيده من سائر أهله من الجن .

♦ فوقوع المصلحة -وهي سلامتهم من الشر- لا يدل على أن ما كانوا يفعلونه ليس بشرك .

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وَإِنْ يَمْسَسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس : 107-106] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت : 17] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف : 5] الآيتين .

وَقَوْلُهُ : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل : 62] الآية .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَوْمُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّهُ لَا يَسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يَسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» .

مقصود الترجمة : بيان أن الاستغاثة بغير الله أو دعاء غيره من الشرك .

ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة .

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾ [يونس : 106] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، فهو نهى والنهي للتحريم .

ولما كان دعاء الله عبادة ، فإن جعلت لغيره كانت شركاً .

2 والآخر : في قوله : ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فإن الظلم يطلق ويراد به الشرك ، كما صح ذلك عن ابن مسعود في الصحيحين .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت : 17] .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ .

■ فهو أمر بتمحيض العبادة أي إخلاصها ، ومن أفراد عبادته : دعاؤه والاستغاثة به .

■ فمن استغاث بغيره ودعاه ؛ فقد وقع في الشرك .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو﴾ .

■ أي لا أحد أشد ضلالاً ممن كانت هذه حاله ، وأعظم الضلال الشرك .

■ فالذكور من دعاء غير الله في الآية من الشرك .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الآية

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ، مع قوله : ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ ،

تحقيقاً أن تلك الأفراد من التأليه لله وحده .

■ فإذا توجه بها العبد لغير الله فإنه قد جعل إله مع الله ، فوقع في الشرك .

الدليل الخامس : حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق . . .» الحديث ، رواه الطبراني

في المعجم الكبير ، وإسناده ضعيف .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : «إنه لا يستغاث بي» ، خبراً عنه ﷺ حسماً لمادة الشرك وقطعاً لتعلق القلوب بغير الله .

2 والآخر : في قوله : «وإنما يستغاث بالله عز وجل» ، حصراً للاستغاثة بالله دون غيره ، فبه الاستغاثة وحده .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الْإِسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: 106] .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ فَعَلَهُ إِرْضَاءً لغيرِهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ .

الخَامِسَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا .

السَّادِسَةُ : كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا .

السَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنْ اللَّهِ ، كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ .

التَّاسِعَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ .

الْعَاشِرَةُ : ذِكْرُ أَنَّهُ لَا أَضْلَ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ الْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : كُفْرُ الْمَدْعُوِّ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ .

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ : أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ سَبَبُ أَضْلِ النَّاسِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الْخَامِسَةِ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : الْأَمْرُ الْعَجِيبُ ؛ وَهُوَ إِقْرَارُ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَاجِلِ هَذَا يَدْعُوهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : حِمَايَةُ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ ، وَالتَّأْدِبُ مَعَ اللَّهِ .

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا
[الأعراف: 191-192] الآية .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: 13] الآية .
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : شَجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ ، فَقَالَ : «كَيْفَ يَفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟» فَنَزَلَتْ :
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128] .

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ - :
«اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا» ، بَعْدَ مَا يَقُولُ : «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
[آل عمران: 128] .

وَفِي رِوَايَةٍ : يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَسَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَنَزَلَتْ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128] .

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] ، فَقَالَ :
«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ - عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ ،
لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» .

مقصود الترجمة : بيان برهان من براهين التوحيد ، وهو قدرة الخالق وعجز الخلق .
وهذه الجملة شروع في مقصد آخر من مقاصد كتاب التوحيد ، وهو براهينه وأدلته .

ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ...﴾ الآية والتي بعدها .

ودلالته على مقصود الترجمة من أربعة وجوه :

- 1 في قوله : ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ 2 في قوله : ﴿وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾
- 3 في قوله : ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ 4 في قوله : ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

فالمستحق أن يكون معبوداً هو من له القدرة الكاملة .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ .

■ فأبطل الله ملكهم شيئاً حقيراً ، وهو القطمير  الذي هو : اللفافة التي تكون على نواة التمر وغيره .

◆ فمن لا يملكه فهو عاجز غير مستحق للعبادة ، والذي يملك هو المستحق للعبادة .

الدليل الثالث : حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : «شُجَّ النبي ﷺ في يوم أحد .» الحديث . . متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة : في إنزال الله تعالى قوله : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

■ إعلاماً للنبي ﷺ بأنه لا حكم له على عواقب الخلق وخواتيمهم .

■ ومن كان كذلك فلا يُعبد ، بل من له الحكم كله هو المستحق للعبادة .

الدليل الرابع : حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا رفع رأسه .» الحديث . متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة : في إنزال الله تعالى قوله : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

■ إعلاماً للنبي ﷺ بأنه لا حكم له على عواقب الخلق وخواتيمهم .

■ والحديثان السابقان يوهما ظاهرهما تعدد نزول الآية في الواقعتين .

👉 فالصحيح أنهما وقعا ، ثم نزلت الآية بعدهما ، وهي صالحة لأن تكون سبباً لكل واحد منهما ، كما اختاره البخاري .

الدليل الخامس : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : «قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] .» الحديث ، متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة من ثلاثة وجوه :

1 في قوله ﷺ : «لا أغني عنكم من الله شيئاً» .

2 في قوله ﷺ : «لا أغني عنك من الله شيئاً» .

3 في قوله ﷺ : «لا أغني عنك من الله شيئاً» .

■ إخباراً منه أن الأمر لله وحده ، فمن شاء هدى ومن شاء أضل .

■ فهو الحقيق بالعبادة ، بخلاف من لا يملك من ذلك شيئاً .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ .

الثَّانِيَّةُ : قِصَّةُ أَحَدٍ .

الثَّالِثَةُ : قُنُوتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الْأَوْلِيَاءِ يُؤْمِنُونَ فِي الصَّلَاةِ .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ .

الخَامِسَةُ : أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ ، مِنْهَا شَجَّهُمْ نَبِيِّهِمْ ، وَحَرَصَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ ، وَمِنْهَا التَّمَثِيلُ بِالْقَتْلِ ، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ .

السَّادِسَةُ : أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 128] .

السَّابِعَةُ : قَوْلُهُ : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 128] ؛ فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَأَمَّنُوا .

الثَّامِنَةُ : الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ .

التَّاسِعَةُ : تَسْمِيَةُ الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ .

الْعَاشِرَةُ : لَعْنُ الْمُعِينِ فِي الْقُنُوتِ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: 214] .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الْجُنُونِ ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الْآنَ .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : قَوْلُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ : «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ، حَتَّى قَالَ : «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ، فَإِذَا صَرَخَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ - أَنَّهُ لَا يَغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَأَمَّنَ الْإِنْسَانُ بِأَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ الْيَوْمَ ، تَبَيَّنَ لَهُ تَرْكُ التَّوْحِيدِ وَغَرَبَةُ الدِّينِ .

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾
قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23] .

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سَلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ، يَنْفَذُهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ؛ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ ، قَالُوا : الْحَقُّ ؛ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ سَفِيَانٌ بِكَفِّهِ ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مَائَةٌ كَذِبَةٍ ، فَيَقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا : كَذَا وَكَذَا؟ فَيَصْدَقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ » .

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً - أَوْ قَالَ : رَعْدَةً - شَدِيدَةً ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعَقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَائِيلُ ، فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَرِى جِبْرَائِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَائِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ : قَالَ الْحَقُّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرَائِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

مقصود الترجمة : بيان البرهان التوحيدي المتقدم في الترجمة السابقة ، وهو قدرة الخالق وعجز المخلوق .

■ وأعاد المصنف ههنا تأكيداً وتقريباً .

♦ والفرق بين هذه الترجمة وسابقتها من وجهين :

1 أحدهما : أن المضروب عجزه مثلاً من المخلوقات في الترجمة السابقة هو :

♦ المعظم عند المسلمين ، وهو محمد ﷺ . ♦ والمعظم عند المشركين وهي أوثانهم .

■ وأما هذه الترجمة فالمضروب فيها مثلاً في عجزه هم الملائكة المقربون .

2 والآخر : أن الترجمة السابقة تتعلق ببيان عجز مخلوقات من أهل الأرض .

■ وأما هذه الترجمة فتتعلق ببيان عجز مخلوقات من أهل السماء .

□ ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة ثلاثة أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي أزيل عنها الفزع الذي لحقها ، خبراً عن الملائكة .

2 والآخر : في قوله : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ . □ فأخبر عن عجز الملائكة بما يلحقهم من الفزع ، وأخبر عن قدرة الله بأن له العلو والكبر . □ ففيه إبطال عبادة الملائكة واستحقاقها لله وحده .

📌 الدليل الثاني : حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «عن النبي ﷺ أنه قال : «إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ . .» الحديث متفق عليه . □ وقوله فيه : «خَضَعَانَا» يجوز ضم خائه مع سكون الضاد ، ويجوز أيضاً فتحهما : «خَضَعَانَا» .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في كونه تفسيراً للآية ببيان عجز الملائكة بما يلحقهم من الفزع ، وبيان قدرة الله بإثبات العلو والكبر له .

📌 الدليل الثالث : حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ . . .» الحديث . رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ، وإسناده ضعيف ، ويقوي أصله حديث أبي هريرة المتقدم .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : «فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعَقُوا وَخَرُوا لِلَّهِ سُجَّدًا» .

2 والآخر : في قوله : «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» فأخبر عن عجز الملائكة بما يلحقهم من الصُّعْق والخرور ، وأخبر عن قدرة ربنا سبحانه بما له من العلو والكبر .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : تَفْسِيرُ الْآيَةِ .

الثَّانِيَّةُ : مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشَّرْكِ ، خُصُوصًا مِنْ تَعَلُّقِ عَلَى الصَّالِحِينَ ، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي قِيلَ : إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشَّرْكِ مِنَ الْقَلْبِ .

الثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ : 23] .

الرَّابِعَةُ : سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « قَالَ : كَذَا وَكَذَا » .

السَّادِسَةُ : ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ : جِبْرِيلُ .

السَّابِعَةُ : أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ كُلِّهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ الْغَشْيَ يَعْمُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ كُلَّهُمْ .

التَّاسِعَةُ : ارْتِجَافُ السَّمَاوَاتِ لِكَلَامِ اللَّهِ .

الْعَاشِرَةُ : أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : سَبَبُ إِرْسَالِ الشَّهَابِ .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ تَارَةً يَدْرِكُهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَتَارَةً يُلْقِيَهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَهُ .

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُ الْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ : أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ كَذْبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : قَبُولُ النَّفُوسِ لِلْبَاطِلِ ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ؟!

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : كَوْنُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ ، وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا .

الْعِشْرُونَ : إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ ؛ خِلَافًا لِلْمُعْطَلَةِ .

الحَادِيَةَ وَالْعِشْرُونَ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ : أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ لِلَّهِ سُجَّدًا .

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: 51] .

وَقَوْلُهُ : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ [الزمر: 44] .

وَقَوْلُهُ : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26] .

وَقَوْلُهُ : ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 22-23] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : «نَفَى اللَّهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لغيرِهِ مُلْكٌ ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ ، كَمَا قَالَ : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28] .

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يَقَالُ لَهُ : «ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يَسْمَعُ ، وَسَلِّ تَعَطَّ ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ» .

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ : «مَنْ قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ» ، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ .

وَحَقِيقَتُهُ : أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ ، وَيُنَالِ الْمَقَامَ الْمُحْمَدَ .

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌَ ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ . اِنْتَهَى كَلَامُهُ .

مقصود الترجمة : بيان برهان آخر من براهين التوحيد ؛ وهو : مُلْكُ اللَّهِ للشَّفَاعَةِ ، وأنه لا يشاركه فيها غيره .

■ فمن ملكها حقيق بأن يُعبد ، ومن لا يملكها فلا يستحق العبادة .

◆ والشَّفَاعَةُ عند علماء الاعتقاد المراد بها : الشَّفَاعَةُ عند اللَّهِ .

◆ الشَّفَاعَةُ عند اللَّهِ شرعاً : سؤال الشافعِ اللَّهِ حصولَ نفعٍ للمشفوعِ له .

■ والنفع المراد يكون تارةً جلباً لخير ، وتارةً دفعاً لشر .

□ ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

📌 الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: 51] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ .

■ نفيًا لوجود شفيع يتدئ الشفاعة دون إذن الله ، فلا شفيع إلا مَنْ أذن له الله .

📌 الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾ ، بتحقيق حصر ملكها فيه ؛ فإن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر في كلام العرب .

2 والآخر : في قوله : ﴿جَمِيعًا﴾ ، تأكيداً لملك الله كل أفراد الشفاعة .

📌 الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ مع قوله : ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ .

■ أي : لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه ، مما يدل على ملكه الشفاعة وحده .

■ فليس لشفيع حظ من الشفاعة استقلالاً .

📌 الدليل الرابع : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [النجم: 26] الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ .

■ فنفي عن الملائكة المقربين إغناءهم أحداً بشفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه .

📌 الدليل الخامس : قوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سبأ: 22] الآية والتي بعدها .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله في الآية بعدها : ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ .

■ فنفي نفع شفاعة أحد عنده إلا بصدور الإذن منه سبحانه ، لأنه يملكها .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : تَفْسِيرُ الْآيَاتِ .

الثَّانِيَّةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُنْفِيَّةِ .

الثَّالِثَةُ : صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثَبَّتَةِ .

الرَّابِعَةُ : ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمُحْمَدُ .

الخَامِسَةُ : صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ ؛ بَلْ يَسْجُدُ ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ .

السَّادِسَةُ : مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِهَا؟

السَّابِعَةُ : أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ .

الثَّامِنَةُ : بَيَانُ حَقِيقَتِهَا .

«الثانية : صفة الشفاعة المنفية» ، أي : الخالية من إذن الله ورضاه .

«الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة» ، وهي المشتملة على إذن الله ورضاه .

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: 56]

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٌ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا عَمُّ ، قُلْ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ » ، فَقَالَ لَهُ : أَتُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَعَادَا ، فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، مَا لَمْ أَتِهِ عَنْكَ» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: 113] .
وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56] .

مقصود الترجمة : بيان برهان آخر من براهين التوحيد : وهو خلوص ملك الشفاعة لله وحده . 

والفرق بين هذه الترجمة وسابقتها : 

◆ أن الترجمة السابقة في إثبات الشفاعة وتحقيق ملك الله لها .

◆ وهذه الترجمة في تحقيق انفراده بملكها ، فإن من يملك شيئاً ربما شاركه غيره .

■ فأتى المصنف بهذه الترجمة لإبطال وقوع الشركة في الشفاعة .

◆ والهداية المنفية عن النبي ﷺ في الآية هي هداية التوفيق والإلهام .

◆ وأما هداية البيان والإرشاد ، كقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : 52] ، هي له وَلَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ .

ذكر المصنف رحمه الله لتحقيق مقصود الترجمة دليلين :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : 56] .

ودلالته على مقصود الترجمة : في نفي ملكه ﷺ هداية مَنْ أَحَبَّ في الدنيا لقربته ونصرته وهو عمه أبو طالب .

وإذا كان لا يملك له في الدنيا نفعاً فأحرى ألا يملك له نفعاً في الآخرة على وجه الاستقلال لزوال الأملاك فيها إلا ملك الله .

الدليل الثاني : حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه والد سعيد أنه قال : «لما حضرت أبا طالب الوفاة .» الحديث . متفق عليه .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ، تحقيقاً لخلوص ملك الشفاعة لله ، وأن خير الخلق لم يملك لعمه في الدنيا شيئاً ، فأحرى ألا يملك له شيئاً في الآخرة ، وأنه لا يملك أحد من الشفعاء من الشفاعة شيئاً إلا بتملك الله له .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] الآية .

الثانية : تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] الآية .

الثالثة : وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : «قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ .

الرابعة : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ : «قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ؛ فَقَبَّحَ اللَّهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمَ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ .

الخامسة : جِدُّهُ ﷺ ، وَمُبَالِغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ .

السادسة : الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ .

السابعة : كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ .

الثامنة : مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السَّوِّ عَلَى الْإِنْسَانِ .

التاسعة : مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ .

العاشرة : الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ .

الحادية عشرة : الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الْأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ .

الثانية عشرة : التَّأْمُلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الصَّالِّينَ ؛ لِأَنَّ فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا ، مَعَ مُبَالِغَتِهِ ﷺ وَتَكَرُّرِهِ ؛ فَلَا جُلَّ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا .

الرابعة : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَي : أَنَّ مَطْلُوبَ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهَا مَعَ اعْتِقَادِ مَعْنَاهَا وَالْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهَا لَا مَجْرَدَ لَفْظِهَا ، بِخِلَافِ مَنْ يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ وَلَا يَعْتَقِدُ مَعْنَاهَا وَلَا يَعْمَلُ بِمَقْتَضَاهَا ، فَهَؤُلَاءِ حَقِيقُونَ بِقَوْلِ الْمَصْنُفِ : «فَقَبَّحَ اللَّهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمَ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ» .

التاسعة : مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ ، أَي : إِذَا جُعِلَ قَوْلُهُمْ حُجَّةً عِنْدَ التَّنَازُعِ دُونَ قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ ، فَالْمَضَرَّةُ فِي تَعْظِيمِهِمْ إِذَا كَانَ قَوْلُهُمْ مُخَالَفًا لِلشَّرِيعَةِ ، فَإِنْ خَلَا مِنْ ذَلِكَ فَمِنْ أَصُولِ الدِّينِ تَعْظِيمُ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ .

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : 171] .
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : 23] - ؛ قَالَ : « هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ ؛ أَنْ أَنْصُبُوا
إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا ، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، وَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنَسِيَ الْعِلْمُ
عُبِدَتْ » .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : « قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ : لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ » .
وَعَنْ عُمَرَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » أَخْرَجَاهُ .
... قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ » .
وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ، قَالَهَا ثَلَاثًا .

مقصود الترجمة : بيان سبب وقوع الناس في الشرك مع ظهور براهين التوحيد ، وهو الغلو في الصالحين . 

■ فمُنشَأُ الشُّرْكَ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ ؛ لِأَنَّ الصَّالِحَ لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ .

■ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبَالِغُ فِي قَدْرِهِ ، فَيَجْرَهُ ذَلِكَ إِلَى الشُّرْكِ .

وَالْغُلُوُّ : هُوَ مَجَاوِزَةُ الْحُدِّ الْمَأْذُونِ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَاطِ ، أَيْ : عَلَى وَجْهِ التَّعْدِي بِالزِّيَادَةِ . 

□ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ لِتَحْقِيقِ مَقْصُودِ التَّرْجُمَةِ خَمْسَةَ أَدْلَةٍ :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : 171] . 

○ ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : ﴿ لَا تَغْلُوا ﴾ .

■ فهو نهى عن الغلو نهى تحريم ، والغلو الذي كانوا فيه هو الغلو في الصالحين .

الدليل الثاني : حديث ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ [نوح : 23] هذه أسماء رجال صالحين . » الحديث . رواه البخاري .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ .

- مع بيان تلك الآلهة بأنهم الرجال الصالحون في قوم نوح الذين سماهم الله ، وهم «ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر»
- فغلوا فيهم برفعهم فوق قدرهم حتى وقعوا في الشرك بالله عز وجل .

الدليل الثالث : حديث عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى . . . » . الحديث ، أخرجه ، أي : في الصحيحين ، وهو عند مسلم بأصله لا لفظه ، فاللفظ للبخاري .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « كما أطرت النصارى ابن مريم » .

- أي : في قولهم في عيسى ابن مريم أنه ابن الله ، وجعله إياه إلهاً ؛ فغلوا فيه بالإطراء ووقعوا في الشرك .

والإطراء : هو مجاوزة الحد في المدح ، والوقوع بالكذب فيه .

الدليل الرابع : حديث ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو . . » . الحديث . أخرجه النسائي وابن ماجه ، وإسناده صحيح . ويؤيد المصنف لراويه من الصحابة فلم يثبتته ، وهو المشار إليه بالنقط في نسختكم .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : « إياكم والغلو » ، بالتحذير منه وتحريماً له .

2 والآخر : في قوله : « فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » ، ببيان أن المهلك للأمم المتقدمة هو غلوها .

الدليل الخامس : حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » ، رواه مسلم .

ودلالته على مقصود الترجمة : في إخباره ﷺ عن هلاك المتنطعين لتنطعهم ، والمتنطعون هم الواقعون في الغلو .

وأصل التنطع هو التقعر في الكلام ، أي : المبالغة بالتكلف فيه ، حتى كأنه يخرج من قعر فمه ، ثم صار اسماً للغلو كله .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا الْبَابَ وَبَيَّنَ بَعْدَهُ ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَقْلِيلِهِ لِلْقُلُوبِ الْعَجَبَ .

الثَّانِيَّةُ : مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ أَنَّهُ بِشَبْهَةِ الصَّالِحِينَ .

الثَّالِثَةُ : مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غَيْرَ بِهِ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا سَبَّبَ ذَلِكَ ، مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ .

الرَّابِعَةُ : قَبُولُ الْبِدْعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطْرِ تَرُدُّهَا .

الخَامِسَةُ : أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ : مَزْجُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ .

فَالْأَوَّلُ : مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ .

وَالثَّانِي : فِعْلُ أَنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا ؛ فَظَنَ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ .

السَّادِسَةُ : تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ نُوحٍ .

السَّابِعَةُ : جِبِلَّةُ الْأَدَمِيِّ فِي كَوْنِ الْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ : أَنَّ الْبِدْعَةَ سَبَبُ الْكُفْرِ .

التَّاسِعَةُ : مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَوَلَّى إِلَيْهِ الْبِدْعَةُ ؛ وَلَوْ حَسَنَ قَصْدُ الْفَاعِلِ .

الْعَاشِرَةُ : مَعْرِفَةُ الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الْغُلُوِّ ، وَمَعْرِفَةُ مَا يؤولُ إِلَيْهِ .

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : مَضَرَّةُ الْعُكُوفِ عَلَى الْقَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا .

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : مَعْرِفَةُ عَظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الْغَفْلَةِ عَنْهَا .

قوله : « الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين » ، أي : فيما وقع في قوم نوح من تعلقهم بالصالحين من دون الله .

« الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح » ، وهو الشوق إلى العبادة ، فإن قوم نوح صوّروا أولئك الصالحين ليشتاقوا إلى عبادة الله برؤيتهم ، فابتدأ عكوفهم عند قبورهم ابتغاء حصول شوقهم إلى العبادة ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون الله .

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: وَهِيَ - أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ - قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الْكَلَامِ ، وَكَوْنُ اللَّهِ حَالًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ فَهُوَ الْكُفْرُ الْمُبِيحُ لِلدَّمِ وَالْمَالِ .

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ .

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّورَ أَرَادُوا ذَلِكَ .

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْبَيَانُ الْعَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ بَلَغَ الْبَلَغَ الْمُبِينُ .

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ الْمُتَنَطِّعِينَ .

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ الْعِلْمُ ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وَجُودِهِ وَمُضَرَّةِ فَقْدِهِ .

الْعِشْرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ الْعِلْمِ: مَوْتُ الْعُلَمَاءِ .

«السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك»، أي: العلماء بحالهم، لا بأمر الله، فإن أولئك كانوا يعلمون أخبار أولئك الصالحين ولهم قدرة على تمثيل صورهم بما حفظوا من أوصافهم، فأوقعوا الناس فيما أوقعوه، ولم يكن لهم علم كامل بأمر الله، وإلا لا امتنعوا مما يُقَرَّبُ الناس من الشرك .

«التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ الْعِلْمُ ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وَجُودِهِ وَمُضَرَّةِ فَقْدِهِ» ، أي قدر وجود العلم ومُضَرَّةِ فَقْدِهِ ، فإذا وُجِدَ الْعِلْمُ وَبُثَّ مَنْشُورًا حُفِظَ الشَّرْعُ وَأَعْلَاهُ التَّوْحِيدُ ، وَإِذَا فُقِدَ الْعِلْمُ ذَهَبَ الشَّرْعُ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي الشَّرْكِ فَمَا دُونَهُ .

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبْدَ اللَّهِ
عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ
فَكَيْفَ إِذَا عَبْدَهُ؟!

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ ، فَقَالَ : «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» .

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ : فِتْنَةُ الْقُبُورِ ، وَفِتْنَةُ التَّمَاثِيلِ .

وَلَهُمَا عَنْهَا ، قَالَتْ : لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ - : «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا . أَخْرَجَاهُ .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا ؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» . فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يَبْنِ مَسْجِدٌ ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا : «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا .

وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتْ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتَّخَذَ مَسْجِدًا ، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا ، كَمَا قَالَ ﷺ : «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» .

وَلَا حَمْدَ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» . رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ .

مقصود الترجمة : بيان إبطال عبادة الصالحين ، لما ورد من التغليظ - أي : التشديد - من عبادة الله عند قبر رجل صالح ، منعاً من الوقوع في عبادته ، والتغليظ أشد لمن عبده من دون الله .

□ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة :

📌 الدليل الأول : **حديث عائشة -رضي الله عنها- «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ . . »** الحديث . متفق عليه .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «أولئك شرار الخلق عند الله» .

■ وموجب جعلهم شر الخلق ، بناؤهم المساجد على القبور ليعبدوا الله عندها .

■ فيشوقهم حضورهم عند قبور الصالحين إلى عبادة الله فيعبدونهم .

■ فالتغليظ عليهم لأجل عبادتهم الله عند رجل صالح ، فغيرهم ممن يعبد الصالح أولى بأن يكون شراً منهم .

📌 الدليل الثاني : **حديث عائشة -رضي الله عنها- أيضاً «قالت : «لما نزل برسول الله ﷺ . . »** الحديث . متفق عليه .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» مع قوله : «لعنة الله على اليهود والنصارى» .

■ فلعنهم تغليظ عليهم لأنهم جعلوا على قبور أنبيائهم مساجد يريدون منها أن يعبدوا الله عندها ؛ فاستحقوا اللعن بذلك .

■ فغيرهم ممن يعبد الأنبياء أولى باللعن .

📌 الدليل الثالث : **حديث جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- أنه قال : «سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس . . »**

الحديث . رواه مسلم .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله ﷺ : «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك» .

■ فنهى النبي ﷺ عن طريقتهن تقبيحاً لها ؛ إذ جعلوا قبور الأنبياء مساجد يعبدون الله عندها .

■ فغيرهم ممن يعبد أولئك الأنبياء أولى بنهيه عن ما يفعل .

◆ ووقع نهيه ﷺ عما ذكر بوجهين :

1 أحدهما : في قوله : «فلا تتخذوا القبور مساجد» بالإتيان بـ «لا» الدالة على النهي .

2 والآخر : في قوله : «فإني أنهاكم عن ذلك» المصرح بنهيه ﷺ .

📌 الدليل الرابع : **حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : «إن من شرار الناس . . »** الحديث .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «إن من شرار الناس» مع قوله : «والذين يتخذون القبور مساجد» .

■ فجعلهم شر الناس لأنهم قصدوا عبادة الله عند قبور المعظمين من الأنبياء فمن دونهم .

■ ومن عبد أولئك المعظمين من دون الله أولى بأن يكون شراً منهم .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ ؛ وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الْفَاعِلِ .

الثانية : النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ ، وَعَلْظُ الْأَمْرِ .

الثالثة : الْعِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ : كَيْفَ بَيْنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا ، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي النَّزْعِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ .

الرابعة : نَهْيُهُ عَنِ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ الْقَبْرُ .

الخامسة : أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ .

السادسة : لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

السابعة : أَنَّ مَرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُنَا عَنْ قَبْرِهِ .

الثامنة : الْعِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ .

التاسعة : مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا .

العاشرة : أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنْ اتَّخَذَهَا وَيْنٌ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشُّرْكِ قَبْلَ وَقُوعِهِ مَعَ خَاتَمَتِهِ .

قوله : «السابعة : أن مراده ﷺ تحذيرنا عن قبره»

أي : ألا نفعل به ما فعلته اليهود والنصارى بقبور صالحهم ، فالتحذير مخصوص بهذه الحال .

الحادية عشرة: ذكره - في خطبته قبل موته بخمس - الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلي به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من الحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

قوله: «الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع»

وهما: الرافضة والجهمية.

♦ فاما الرافضة فالرد عليهم في نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد بقوله: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، وكانوا هم أول من شيد المزارات وشرع الزيارات، وصنفوا فيها بناء المشاهد وأدعيتها.

♦ وأما الرد على الجهمية: ففي قوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا»، أي: جعلني محبوباً له في أعلى مراتب المحبة وهي الخلّة، ففيه إثبات صفة المحبة له سبحانه، والجهمية ينفون أسماء الله وصفاته.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصِيرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

وَلَا بِنَ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴾ [النَّجْم: 19] ، قَالَ : «كَانَ يَلْتُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ ، فَعَكَّفُوا عَلَى قَبْرِهِ» .

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «كَانَ يَلْتُمُ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ» .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسَّرَجَ» . رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ .

مقصود الترجمة : بيان أن الغلو في قبور الصالحين يؤدي إلى الشرك بأن يُعبد أولئك الصالحون .

■ فالغلو في قبور الصالحين باتخاذها مساجد أو العكوف عليها ، أو الصلاة عندها يُصيرها - أي : يحولها ويجعلها - أوثاناً تُعبد من دون الله ؛ فيتعاطف في قلوبهم تأليها حتى يجعلوا عبادتهم لها .

والأوثان : جمع وثن ، وهو اسم جامع كل ما يُعبد من دون الله .

□ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة :

📌 الدليل الأول : حديث عطاء بن يسار - أحد التابعين - : أن رسول الله ﷺ قال : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ . .» الحديث . رواه مالك في الموطأ ، وهو ضعيف لإرساله ، وله شواهد يتقوى بها .

🔵 ودلالته على مقصود الترجمة في دعائه ﷺ : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» ، مع ذكره موجب جعله وثنًا في قوله : «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، وهو من الغلو فيها الذي يوقع في عبادة أولئك الأنبياء من دون الله .

 **الدليل الثاني :** حديث مجاهد بن جبر المكي أحد التابعين في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ ، قال : كان يلت لهم السوق . . » الحديث . رواه ابن جرير في تفسيره ، وإسناده صحيح .

 ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «فكفوا على قبره» .

■ أي : أقاموا على قبره تعظيماً له ، ثم أفضى بهم تعظيمه أن عبدوه من دون الله .

 **الدليل الثالث :** حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير الآية المذكورة أيضاً ، قال : «كان يلت السوق للحاج» ، رواه البخاري .

 والسويق : دقيق الخنطة أو الشعير .  ولته : خلطه وبله بالسمن وغيره .

 ودلالته على مقصود الترجمة : في كون اللات رجلاً صالحاً ، يُحسن إلى الحاج بإطعامهم .

■ فغلوا فيه حتى عبدوه ، فصار وثناً يُعبد من دون الله .

 **الدليل الرابع :** حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور . . » الحديث . رواه الأربعة ، وإسناده ضعيف . والجملة الأولى والثانية لهما شواهد يصحان بها .

 ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «والمتخذين عليها المساجد والسُّرج» .

■ فإن هذا من الغلو الذي لعن صاحبه ، لأنه ذريعة إلى تصوير تلك القبور المعظمة أوثاناً تُعبد من دون الله .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ الْأَوْثَانِ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يَخَافُ وَقُوعَهُ .

الرَّابِعَةُ : قَرْنُهُ بِهَذَا اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ .

الخَامِسَةُ : ذِكْرُ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ .

السَّادِسَةُ : - وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا - مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَوْثَانِ .

السَّابِعَةُ : مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ الْقَبْرِ ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ .

التَّاسِعَةُ : لَعْنَةُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ .

الْعَاشِرَةُ : لَعْنَةُ مَنْ أَسْرَجَهَا .

قوله : «الثالثة : أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يَخَافُ وَقُوعَهُ»

أي : فِي قَوْلِهِ ﷺ : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ» ؛ فَهُوَ دَعَاءُ التَّجَاءِ وَاعْتِصَامٍ ، وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْاسْتِعَاذَةِ .

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ ، وَسَدِّهِ كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشَّرِّ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة : 128] الآية .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورَ أَبِي عِيدَا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَرَوَاهُ ثِقَاتٌ .
وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فَهَاهُ ، وَقَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا تَتَّخِذُوا قُبُورَ أَبِي عِيدَا ، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» . رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ .

مقصود الترجمة : بيان حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد - أي : جانبه - من كل ما ينقصه أو ينقضه .

سده الذرائع - يعني الطرق - الموصلة إلى الشر .

وأفرد ﷺ بوصف الحماية للتوحيد مع كونها في كلام الله وشرعه لأمرين :

1 أحدهما : أن المصطفى ﷺ كان هو أول قائم به في هذه الأمة .

2 والآخر : أن كثيراً ممن زلت قدمه في التوحيد أتى من قبل غلوه في المصطفى ﷺ .

👉 فلأجل الأمرين المذكورين لم يقل المصنف : باب : ما جاء في حماية الشرع جناب التوحيد ،

■ وإنما قال : باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد .

✓ جواز الخبر عنه ﷺ بأنه المصطفى ؛ لحديث واثلة بن الأسقع في صحيح مسلم ، وأعلى من هذا ما رواه أحمد بسند

صحيح من حديث عوف بن مالك أنه ﷺ قال : «أنا النبي المصطفى» فمن أسمائه المعظمة شرعاً اسم المصطفى .

■ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة ثلاثة أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة : 128] الآية .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ .

■ أي : حريص على هدايتكم ، ومن حرصه ﷺ : حمايته جناب التوحيد ، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك .

📌 الدليل الثاني : حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال : «قال رسول الله ﷺ : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا .» الحديث . رواه أبو داود وإسناده حسن ، وله شواهد يصح بها ، فهو حديث صحيح .

○ ودلالته على مقصود الترجمة من ثلاثة وجوه :

1 أحدها : في قوله ﷺ : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» ، أي لا تعطلوها من الصلاة وقراءة القرآن ؛ حتى تكون كالقبور التي ليست محلاً لذلك .

2 وثانيها : في قوله ﷺ : «وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا» ، أي لا تزوروه على وجه مخصوص ملتزم به .

3 وثالثها : في قوله ﷺ : «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» ؛ دفعاً لتوهم الحاجة للقرب منه ﷺ عند إرادة الصلاة عليه ، فإن صلاته على النبي ﷺ تُبْلَغُ النبي ﷺ وإن بُعد تبليغ الملائكة له .

✓ وهذه الوجوه الثلاثة نهيان وأمر ، كلها تبين حمايته ﷺ جناب التوحيد ، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك .

📌 الدليل الثالث : حديث علي بن الحسين «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ . . .» ، الحديث رواه الضياء المقدسي في كتاب «المختارة» ، وهو عند من هو أولى منه بالعزو ، فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، وإسناده لا بأس به ويشهد له ما تقدم .

○ ودلالته على المقصود من ثلاثة وجوه :

1 أولها : في قوله : «لَا تَتَخَذُوا قُبُورِي عِيدًا» .

2 وثانيها : في قوله : «وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا» .

3 وثالثها : في قوله : «فَإِنْ تَسْلِمُكُمْ بِلِغْنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ» على ما تقدم بيانه في سابقه ، فالقول فيه حذو القول فيما تقدم .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ .

الثَّانِيَّةُ : إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الْحِمَى غَايَةَ الْبُعْدِ .

الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

الرَّابِعَةُ : نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ .

الخَامِسَةُ : نَهْيُهُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ .

السَّادِسَةُ : حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ .

السَّابِعَةُ : أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يَصَلِّي فِي الْمَقْبَرَةِ .

الثَّامِنَةُ : تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعْدَ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ .

التَّاسِعَةُ : كَوْنُهُ ﷺ فِي الْبَرْزَخِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره ﷺ على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال»

■ لأن زيارة القبور على الوجه المشروع سنة ، وقبره ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ، واتباع السنن من أفضل الأعمال .

■ فالفضل راجع إلى العمل نفسه ، أي زيارة القبور .

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ ، أي في القبر .

■ «تُعرض عليه أعمال أُمته في الصلاة والسلام» ، أي : بتبليغه ﷺ صلاة والمصلين والمسلمين عليه من أُمته .

■ فمعنى العرض : تبليغهما له ﷺ .

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 51] .

وَقَوْلُهُ : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ [المائدة: 60] .

وَقَوْلُهُ : ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: 21] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَذَوُ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : «فَمَنْ؟!» أَخْرَجَاهُ .

وَمُسْلِمٌ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا ، وَأَعْطَيْتُ الْكَنَزَيْنِ : الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنْ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَاقَطَرَاهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» .

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَزَادَ : «وَأِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يَرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِتْنَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» .

مقصود الترجمة : بيان وقوع الشرك في هذه الأمة بعد النبي ﷺ بعبادة بعضها الأوثان .

ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ . .﴾ [النساء: 51] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ .

■ خبراً عن أهل الكتاب أنهم عبدوا غير الله بعدما أُوتوا من الكتاب ، فكما كان من أولئك يكون في غيرهم .

■ فمعرفة الدين ليست مانعة من الوقوع في الشرك .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ...﴾ [المائدة : 60] الآية .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

■ خبراً عن أهل الكتاب أن منهم من عبد غير الله بعد أنبيائهم ، فكما كان فيهم يكون في غيرهم .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ [الكهف : 21] .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿لَتَنَخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ .

■ وهو فعل من أفعال المشركين كما تقدم ، وكان هؤلاء في اليهود في أصح القولين ، وسيكون في هذه الأمة من يحاذيهم .

الدليل الرابع : حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» الحديث . متفق

عليه ، لكن ليس في الصحيحين «حذو القذة بالقذة» ، بل لفظهما : «شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع» .

و القذة : ريشة السهم التي تجعل في آخره ، مما يقابل رأسه ، ومجموعها قذذ .

ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» . أي طريقهم .

■ وكان من طريقهم أنهم وقعوا في الشرك بعد أنبيائهم وأنه سيكون في هذه الأمة من يتابعهم .

الدليل الخامس : حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ...» الحديث . أخرجه مسلم .

والزيادة التي بعده عزاها المصنف إلى البرقاني ، وهي عند أبي داود وابن ماجه ، وبعضها عند الترمذي ، والعزو إليهم أولى ، وإسنادها صحيح ، وعدل المصنف إلى عزوها إلى البرقاني ، لأن كتابه مُستخرج على مسلم ؛ فمُستترَ فيه الصحة . والمُستخرج من الكتب هو أن يقصد محدث رواية أحاديث كتاب آخر بإسناده هو .

ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله ﷺ : «وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» ، وهو صريح في مقصود الترجمة . والفئام : الجماعات .

2 والآخر : في قوله ﷺ : «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» ، وهو خبر صادق عن لحوق حي من أمته

بالمشركين . والحي : القبيلة ، وفي رواية أبي داود وابن ماجه : «حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين» .

■ ولحوقهم المشركين بتحولهم إلى بلدانهم ، ومساكنتهم لهم حتى يرضوا بدينهم فيكونوا مثلهم .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ النَّسَاءِ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْمَائِدَةِ .

الثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ .

الرَّابِعَةُ : - وَهِيَ أَهْمُهَا - مَا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بَغْضِهَا وَمَعْرِفَةُ بَطْلَانِهَا ؟

الخَامِسَةُ : قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ : أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

السَّادِسَةُ : وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالترجمة - أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوْجَدَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ .

السَّابِعَةُ : التَّصْرِيحُ بِوُقُوعِهَا - أَعْنِي عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ - فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ .

الثَّامِنَةُ : الْعَجَبُ الْعَجَابُ : خُرُوجُ مَنْ يَدْعِي النُّبُوَّةَ ، مِثْلُ الْمُخْتَارِ مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَتَصْرِيحِهِ أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَمَعَ هَذَا يُصَدِّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الْوَاضِحِ ، وَقَدْ خَرَجَ الْمُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ، وَتَبِعَهُ فِتْنٌ كَثِيرَةٌ .

التَّاسِعَةُ : الْبَشَارَةُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيهَا مَضَى ؛ بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ .

الْعَاشِرَةُ : الْآيَةُ الْعُظْمَى أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ .

الحَادِيَةِ عَشْرَةَ : أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ .

الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ : مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنْهَا إِخْبَارُهُ أَنَّ اللَّهَ زَوَى لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْكَزْنَ وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الْاِئْتِنَاتَيْنِ وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مَنَعَ الثَّالِثَةَ ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرْفَعُ إِذَا وَقَعَ ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَنْثَمَةِ الْمُضِلِّينَ ، وَإِخْبَارُهُ بِظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمُنْصُورَةِ ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ .

الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ : حَصَرَهُ الْخَوْفُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَنْثَمَةِ الْمُضِلِّينَ .

الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ : التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان ، أي : أنها لا تختص بالأصنام ؛ فكل ما عبد من دون الله فهو وثن .

بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّحْرِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ [البقرة: 102] .

وَقَوْلُهُ : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 51]

قَالَ عُمَرُ : «الْجَبْتُ : السَّحَرُ ، وَالطَّاغُوتُ : الشَّيْطَانُ» .

وَقَالَ جَابِرُ : «الطَّوَاعِيتُ : كُفَّانُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا هُنَّ؟ قَالَ : «الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» .

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعاً : «حَدَّثَ السَّاحِرُ : ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ» . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ» .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ بُجَالَةَ بْنِ عَبْدِ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَنْ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ ، قَالَ : فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ .

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا ، فَقَتَلَتْ .

وَكَذَا صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ .

قَالَ أَحْمَدُ : «عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» .

مقصود الترجمة : بيان ما جاء في السحر من الوعيد ومنافاته التوحيد .



والسحر اصطلاحاً : هو رُقْيٌ يَنْفُثُ فِيهَا مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِالشَّيَاطِينِ .



□ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة سبعة أدلة :

📌 الدليل الأول : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ [البقرة: 102]

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ، حكماً على من أخذ بحظٍّ من السَّحر .

■ فهو إعلام بأنه لا نصيب له في الآخرة ، والذي لا نصيب له في الآخرة هو الكافر .

📌 الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء : 51] .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ .

■ والآية في حق اليهود تعريفاً بما وقعوا فيه من الكفر لما أضعوا الكتاب وأمنوا بالسحر .

📌 والجبت : هو السَّحر ، 🖐 كما فسَّره عمر رضي الله عنه عند ابن جرير .

📌 الدليل الثالث : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات . . .» الحديث متفق عليه .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «والسحر» ؛ فعده ﷺ من الموبقات ، 📌 أي : الذنوب المهلكات إهلاكاً شديداً .

■ والإهلاك الشديد لا يكون إلا من المحرم الأكيد ، فهو من الكبائر .

📌 الدليل الرابع : حديث جندب رضي الله عنه : «حد الساحر ضربه بالسيف» . رواه الترمذي ، وصحح وقفه .

○ وجعل حدَّ الساحر ضربة بالسيف يدلّ على حرمة فعله الشديدة .

📌 الدليل الخامس : أثر عمر رضي الله عنه ، ورواه أبو داود وأصله عند البخاري : أن الساحر يُقتل .

📌 الدليل السادس : أثر حفصة رضي الله عنها ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى : أن الساحر يُقتل .

📌 الدليل السابع : أثر جندب بن عبد الله ، ورواه البخاري في التاريخ الكبير : أن الساحر يُقتل .

○ ودلالته على مقصود الترجمة : ما فيهنّ من أن الساحر يقتل ، وهذا يدلّ على حرمة فعله الشديدة .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ آيَةِ النَّسَاءِ .

الثَّالِثَةُ : تَفْسِيرُ الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا .

الرَّابِعَةُ : أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ .

الخَامِسَةُ : مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ الْمُخْصُوصَةِ بِالنَّهْيِ .

السَّادِسَةُ : أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ .

السَّابِعَةُ : يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ .

الثَّامِنَةُ : وُجُودُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا قَطْنُ بْنُ قَبِيصَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْعِيَافَةَ ، وَالطَّرْقَ ، وَالطَّيْرَةَ ؛ مِنْ الْجَبْتِ» .

قَالَ عَوْفٌ : «الْعِيَافَةُ : زَجْرُ الطَّيْرِ ، وَالطَّرْقُ : الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ» .

وَالْجَبْتُ - قَالَ : الْحَسَنُ - : «رَنَةُ الشَّيْطَانِ» .

إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ ، وَلَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ وَابْنَ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدُ مِنْهُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ ؛ زَادَ مَا زَادَ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ» .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَلَا هَلْ أَنْبَأْتُكُمْ مَا الْعِضَةُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» .

مقصود الترجمة : بيان شيء من أنواع السحر ، بتعداد أنواع منه .

وهذه الأنواع قسمان :

1 أحدهما : ما يرجع إلى حقيقة السحر المتقدمة ، وهو الرقى التي يُنفث فيها مع الاستعانة بالشياطين .

2 والآخر : ما يرجع إلى معناه في الوضع العربي ، وهو ما خفي ولطف سببه .

■ ذكر المصنف لتحقيق مقصود الترجمة خمسة أدلة :

📌 الدليل الأول : حديث قبيصة الهلالي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إن العيافة والطرق .» الحديث .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «من الجبت» ، فالجبت - كما تقدم في تفسير عمر - هو السحر .

◆ وقد ذكر النبي ﷺ في الحديث ثلاثة أنواع منه :

1 أولها : العيافة ؛ وهي : الخدس والتخمين في الخبر عما يكون بما ليس سبباً لذلك ، وأكثره يكون بزجر الطير .

■ أي : ببعثها وتحريكها- ، لِيُستدلَّ بجهة طيرانها أو ألوانها أو غير ذلك من أحوالها على غيب يُراد علمه .

■ فوجه تفسير عوف - وهو ابن أبي جميلة الأعرابي - العيافة بقوله : زجر الطير ؛ لأنها أكثر ألتها التي تكون بها ، فحدسهم وتخمينهم في ادعاء غيب مغيب عنهم يكون بزجر الطير .

2 وثانيها : الطُرق ؛ وهو الضرب بالحصى ، فكان يقبض أحدهم حصى في يده ثم يضربها في الأرض ، فيستدل بحالها من الاندثار أو الانتشار على ما يريد علمه ، فإن كانت الأرض رملاً لا تؤدي لانتشار الحصى استعملوا الخط عليها ، وهذا معنى قول عوف بن أبي جميلة : «والطرق الخط يُخط بالأرض» أي : إذا كانت رملاً ، وإلا فأصله الحصى إذا ضُرب به ، لكن لما كانت أكثر أرض العرب رملاً فسره بالخط ؛ فيخطون خطوطاً على الأرض يستدلون بها على ما يريدون .

3 وثالثها : الطيرة ؛ وهي فعل ما يحمل على الإحجام أو الإقدام ، وسيأتي في باب مفرد .

◆ وقول الحسن مفسراً الجبت : رنة الشيطان ؛ يرجع إلى ما ذكره عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

📌 فإن رنته لها معنيان :

1 أحدهما : صوت الشيطان مطلقاً ؛ فإنه يكون له رنين برفعه .

2 والآخر : الصيحة الحزينة منه ؛ فإنه يكون لها رنين الحزن .

✓ وكلاهما صحيح ؛

■ وما وقع في بعض الكتب بقول "إنه الشيطان" تصحيف .

◆ فالمدكورات في الحديث من العيافة والطرق والطيرة يُحتمل أن تكون مما صوّت بها الشيطان-أي دعا إليها بصوته- .

■ ويحتمل أن تكون هؤلاء الثلاث من كيد الشيطان لابن آدم لما حزن على خروجه من الجنة .

 **الدليل الثاني :** حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ اقْتَبَسَ شَعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ...» الحديث . رواه أبو داود وابن ماجه ، وإسناده صحيح ، لكن لفظه : «مَنْ اقْتَبَسَ علماً مِنَ النُّجُومِ» .

- ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فقد اقتبس شعبة من السحر»
- أي : جزءاً من السحر ، فجعل التنجيم من السحر .
- والمراد به : تنجيم التأثير ، وهو النظر في النجوم للاستدلال بها على التأثير ، وسيأتي في باب مفرد .

 **الدليل الثالث :** حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ عَقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ .» الحديث . رواه النسائي ، وإسناده ضعيف ، والمحفوظ فيه أنه مرسل عن الحسن البصري .

- ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «مَنْ عَقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ» .
- أي : نفث فيها مستعيناً بالشياطين ، ثم عقد عليها ، وهو سحر العقد ؛ فهو من أنواع السحر .

 **الدليل الرابع :** حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قال : «أَلَا هَلْ أَنْبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟» . الحديث .

- ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «مَا الْعِضَةُ؟» .
- والعِضَةُ : هو السحر ، فهو من أسمائه . ■ ثم فسره ﷺ بالنميمة .
- ◆ وجعلت النميمة من السحر ، لمشابتها له من جهتين :

- 1 باعتبار المبدأ ؛ فإن النميمة تكون سرّاً كالسحر إذا عُقد في خفاء ، فإنّ المنام يخفي كلامه على من يسعى بينهما بالوقعة .
- 2 باعتبار المنتهى ؛ لأنها تفرق بين الناس كالسحر الذي يفرق بينهم .

 **الدليل الخامس :** حديث عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسَحراً» ، وهو عند البخاري وحده دون مسلم ، فعزوه اليهما فيه نظر .

- ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسَحراً» .
- في جعله ﷺ البيان المعرب عن المقصود من السحر ، ومحله : المزخرف للباطل .
- فإن مَنْ زَوَّقَ باطله ليروج فإن فعله من جنس السحر .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأُولَى : أَنَّ الْعِيَاةَ وَالطَّرْقَ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجَبْتِ .

الثَّانِيَّةُ : تَفْسِيرُ الْعِيَاةِ وَالطَّرْقِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ مِنْ نَوْعِ السَّحْرِ .

الرَّابِعَةُ : الْعَقْدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ .

الخَامِسَةُ : أَنَّ النَّمِيمَةَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ .

السَّادِسَةُ : أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ .

📌 قوله : «الثالثة : أن علم النجوم من نوع السحر» ، المراد به : علم النجوم المتعلق بالتأثير دون التسيير على ما سيأتي بيانه .

📌 قوله : «السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة» ، أي : الفصاحة الملبسة الحق بالباطل .

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا ، عَنْ . . . : «مَنْ أَتَى عَرَافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» .

وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ مَوْقُوفًا .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تَكْهَنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سَحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رَوَاهُ الْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ دُونَ قَوْلِهِ : «وَمَنْ أَتَى . . .» إِلَى آخِرِهِ .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : «الْعَرَّافُ : الَّذِي يَدْعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمُسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ» .

وَقِيلَ : هُوَ الْكَاهِنُ ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمَغِيبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

وَقِيلَ : الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : «الْعَرَّافُ : اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمَنْجَمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ» .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ - : «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ» .

مقصود الترجمة : بيان ما جاء في الكهان ونحوهم من الوعيد الشديد ، والتغليظ الأكيد .

والكهان : جمع كاهن ، وهو الذي يخبر عن المغيبات ، بالأخذ عن مسترق السمع من الجن .

سمي كاهناً : لأنه يتكهن الأخبار ، أي : يتوقعها .

♦ والمراد بقوله : «ونحوهم» مَنْ لهم ذِكْرٌ في الباب عنده سوى الكاهن ، وهم ثلاثة :

1 أولهم : العرّاف : وهو الذي يستدل بأمور ظاهرة معروفة على أمور غائبة مستورة .

2 وثانيهم : المنجّم : وهو الذي يستدل على التأثير بالنظر في النجوم .

3 وثالثهم : الرّمّال : وهو الذي يستدل بالخط في الرمل .

👉 فهؤلاء الأربعة : الكاهن ، والعراف ، والمنجم ، والرمل :

■ يشتركون في أصلهم في ادعاء علم الغيب مستعينين بالجن .

■ ويفترقون في اختلاف الآلات التي يدعون بها ما يدعونه ؛ فافترت أسماؤهم لافتراق طرقهم في طلب الغيب .

□ ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لتحقيق مقصود الترجمة سبعة أدلة :

📌 الدليل الأول : حديث بعض أزواج النبي ﷺ عنه أنه قال : «مَنْ أَتَى عَرَّافًا .» الحديث . رواه مسلم ولفظه : «لم تُقبل له

صلاة أربعين ليلة» ، وليس عنده «فصدقه» ، وهذه الزيادة عند أحمد وإسنادها صحيح ، وعزوها إلى مسلم باعتبار أصل الحديث أنه عنده .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً» ■ أي : لا يكون له أجر عليها .

■ وهذا في حق مَنْ أَتَى الكاهن ، فالمانع لأجره إتيانه العرّاف وسؤاله آياه ، فالقول فيما يكون عليه الكاهن أشد .

📌 الدليل الثاني : حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَقَهُ . .» الحديث . رواه الأربعة إلا النسائي ، وإسناده ضعيف ، وله شواهد يتقوى بها فيكون حسناً .

🔍 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» .

■ وهو حُكم على الآتي للكاهن ، فالحكم به على الكاهن نفسه أولى .

👉 والكفر هنا هو الأصغر في أصح القولين ، للخبر المتقدم أنه لا تُقبل له صلاة أربعين ليلة .

■ ولو كان كفراً أكبر لما قبلت له صلاة أبد الأيام .

■ وكونه كفراً أصغر يدل على بشاعته وشناعته .

■ فالعراف والكاهن يشتركان في أصلهما ، فالحديث الأول والثاني يفسر أحدهما الآخر .

■ وحديث أبي هريرة هو في جزاء الآتي للكاهن ، فيكون جزاء الكاهن أعظم .

📌 الدليل الثالث : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً ، وبَيَّضَ المصنف لراويه عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ أَتَى عَرِافًا أَوْ كَاهِنًا . .» الحديث . وعزاه المصنف للأربعة أي اصحاب السنن وهو عند الحاكم بلفظه ، وعندهم بأصله ، وعزاه إليهم قبل المصنف أبو الفضل ابن حجر في فتح الباري ، وإسناده صحيح .

🔍 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» على الوجه الذي تقدم بيانه في سابقه .

■ وفي الحديث أن حكم إتيان العراف والكاهن واحد .

📌 الدليل الرابع : حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مثله موقوفاً ، أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ، وإسناده حسن .

■ وله حُكم الرفع ؛ لأن خبر الصحابي عن شيء أنه يكون كفراً أو شركاً أو معصية لا يكون إلا بخبر من الوحي عنه ﷺ .

🔍 ودلالته على مقصود الترجمة : في قوله : «فقد كفر بما أنزل على محمد» على ما تقدم في سابقه .

 الدليل الخامس : حديث عمران بن حصين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعاً : «ليس منا مَنْ تَطِير .» الحديث . رواه البزار في مسنده ، وإسناده ضعيف ، والأحاديث المتقدمة في الباب تقويه ، وتشهد له ، فيكون حديثاً حسناً .

 ودلالته على مقصود الترجمة من وجهين :

1 أحدهما : في قوله : «ليس منا» .

■ والمراد بقوله ﷺ : «ليس منا» نفي الإيمان الواجب عنه ، وما نفي الإيمان الواجب عن فاعله فهو محرم .

2 والآخر : في قوله : «فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» .

 الدليل السادس : حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- نحو حديث عمران دون قوله في آخره : «وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا» رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده ضعيف ، لكن يتقوى بسابقه ، ويعضد أحدهما الآخر ، فيكون حديثاً حسناً .

 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «ليس منا» بنفي الإيمان الواجب عنه .

 الدليل السابع : حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أيضاً قال : يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم .» الحديث . رواه البيهقي في السنن الكبرى ، وإسناده صحيح ، وروي مرفوعاً ولا يصح .

 ودلالته على مقصود الترجمة : في نفي الخلاق له عند الله ،  أي : نفي الحظ والنصيب .

◆ وتقدم أن من نفي عنه يقتضي كونه كافراً ، والمذكور في الحديث هو كتابة أبا جاد ؛  وهي حروف التهجي على الترتيب المعروف «أبجد هوز .» إلى آخره مع الاستدلال بها نظراً في النجوم ، فإن أهل هذه الصنعة يجعلون لكل حرف معنى أو أكثر باعتبار تعلقه بحركة النجوم ، ويستدلون بها على المغيبات ، وهذا سحر التأثير الذي تقدم كونه من السحر الذي هو كفر .

 فالمقصود في كلام ابن عباس هو التنجيم التأثيري .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصَدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ .

الثانية : التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ .

الثالثة : ذِكْرُ مَنْ تَكْهَنُ لَهُ .

الرابعة : ذِكْرُ مَنْ تُطِيرُ لَهُ .

الخامسة : ذِكْرُ مَنْ سَحَرَ لَهُ .

السادسة : ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ .

السابعة : ذِكْرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ .

قوله : «السادسة : ذكر مَنْ تعلم أبا جاد» ، أي : لادعاء علم الغيب ، بتقطيعها وربطها بحركة النجوم .

■ فإن أراد التهجي لمعرفة الكتابة وحساب الجمل وما يُنتفع به كان هذا جائزاً .

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؛ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ. وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طَبٌّ أَوْ يُؤَخِّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيَحِلُّ عَنْهُ أَوْ يَنْشُرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يَنْفَعْ مِنْهُ». أَنْتَهَى. وَرَوَى عَنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السَّحَرُ إِلَّا سَاحِرٌ». قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «النُّشْرَةُ: حَلُّ السَّحَرِ عَنِ الْمُسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: إِحْدَاهُمَا: حَلُّ سَحَرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يَحْمَلُ قَوْلُ الْحُسَيْنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمُسْحُورِ. وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرَّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ».

مقصود الترجمة: بيان حكم النُّشْرَةِ. 

- وهي: حَلُّ السَّحَرِ بِسَحَرٍ مِثْلِهِ،  وهذا المعنى هو المعهود عند الإطلاق في كلام العرب.
- وربما أُريدَ بها مُطْلَقُ حَلِّ السَّحَرِ، فيندرج فيها حلُّه بالرقى والدعوات المشروعة.
- فإنه يُسمى أيضاً نُشْرَةً لأنه ينشر عن المريض علته، أي: يفرقها عنه فيُشْفَى منها.

□ ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة:

- ✚ الدليل الأول: حديث جابر «أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ». الحديث. رواه أبو داود، وإسناده صحيح.
- 🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله: «هي من عمل الشيطان».
- لأنهم يحلون السحر عن المسحور بتسخير الشياطين وسحرهم، والسحر كله من عمل الشيطان.

الدليل الثاني: أن ابن مسعود كان يكره هذا كله وأصله عند ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون التمايم والرقى والنشر»، وإسناده صحيح، والمراد بهم أصحاب ابن مسعود.

ومن طرائق أهل الحديث كالإمام أحمد الدالة على فقهم استدلالهم بفعل أصحاب ابن مسعود على اختيارهم.

لأن العلم الذي هو فيهم أخذوه عن ابن مسعود، وهذا معنى قوله: «ابن مسعود يكره هذا».

أي: بما نُقل عن أصحابه العارفين بقوله الذي كان عليه.

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله: «كان يكره هذا كله».

فالكراهة في عُرف السلف أكثر ما تُطلق على إرادة التحريم.

الدليل الثالث: حديث سعيد بن المسيب عند البخاري لما قال له قتادة: «رجل به طب»، أي: سحر.

لأن ابتداء السحر عند العرب كان لإرادة التطيب، فإذا قالوا فلان مطبوب أو به طب؛ فيريدون أنه مسحور أو به سحر..

قال: «أو يؤخذ عن امرأته»: أي يُحبَس عنها فلا يصل إليها جماعها.

«أُيحلُّ عنه أو يُنشر؟» أي: أتُفك عقد سحره ويُرقى لكشف علته؟، «فقال: لا بأس به» أي: لا بأس بحل السحر.

«إنما يريدون به الإصلاح» أي: بدفع الداء عنه. «فأما ما ينفع» أي: من الرقى. «فلم يُنه عنه»..

فمراد سعيد بن المسيب هو حل السحر بما ينفع وهو الرقى الشرعية.

أما حل السحر بالسحر فإنه لا ينفع، ولذلك لا يجوز حلُّه به، فإن النبي ﷺ أخبر أنه من عمل الشيطان.

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله: «لا بأس به» مع قوله: «فأما ما ينفع فلم يُنه عنه» من الخبر عن إباحة الرقى

المشروعة، والمنع من حل السحر بسحر مثله.

الدليل الرابع : حديث الحسن البصري أنه قال : « لا يحل السحر إلا ساحر » ، ذكره بهذا اللفظ ابن الجوزي في جامع السنن والمسانيد ، ولم يعزّه المصنف ولا هو إلى أحد . وعند ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن الحكم بن عطية قال : سئل الحسن عن النشر فقال : سحر ، وهذا يدل على المذكور هنا عنه ، فلعله ذُكر بمعناه المعهود عند العرب ، فهو يرى أن النشر سحر .

ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « سحر » خبيراً عن النشر ، مما يدل على أن حل السحر بسحر مثله من الكفر المحرم .

ثم ذكر المصنف بعد الأدلة كلام ابن القيم في بيان معنى النشر ؛ أي بالنظر إلى أصلها اللغوي لا المعهود منها .

فالمعهود في النشر أنها حلّ السحر بالسحر ومن أجل هذا عدّها النبي ﷺ من عمل الشيطان ؛

أي بإعتبار ما يعرف منها عند العرب .

وأما بالنظر إلى المعنى اللغوي للنشر -وهو الحل الذي هو دفع الداء- ؛

فيكون منها نوع ونوع آخر على ما ذكره ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : النَّهْيُ عَنِ النُّشْرِ .

الثَّانِيَّةُ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُنْهَيِّ عَنْهُ وَالْمُرْخَّصِ فِيهِ ، مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ .

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطْيِيرِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131] .

وَقَوْلُهُ : ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس: 19] الآية .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا عَدُوَّ ، وَلَا طَيْرَةَ ، وَلَا هَامَةَ ، وَلَا صَفَرَ» . أَخْرَجَاهُ .

زَادَ مُسْلِمٌ : «وَلَا نَوْءَ ، وَلَا غُولَ» .

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا عَدُوَّ ، وَلَا طَيْرَةَ ، وَيَعْجَبُنِي الْفَالُ» ، قَالُوا : وَمَا الْفَالُ ؟ قَالَ : «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» .

وَلَأَبِي دَاوُدَ بِسْنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «أَحْسَنُهَا : الْفَالُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا ، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ ؛ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِنِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» .
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَذْهَبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ .

وَلَا حَمْدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو : «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» ، قَالُوا : فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : «أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» .

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» .

مقصود الترجمة : بيان حكم التطير ؛ وهو : تفعل من الطيرة ، وهي فعل ما يحمل على الإقدام أو الإحجام .

والإقدام : المضي في الشيء ، والإحجام : الرجوع عنه .

■ وكان أكثر ما تستدل به العرب على ما يحقق لهم ما يقدمون فيه أو يحجمون عنه هو الطير .

■ بصورته أو شكله أو اسمه أو جهة انبعاثه إذا طار . ■ ثم استعمل في غيره وبقيت تسميته بالطيرة [وإن كان بغير الطير] .

◆ وحكمه أنه من الشرك الأصغر ؛ لأمرين :

1 أحدهما : إعتقاد السبب في ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً .

2 والآخر : وهن القلب بالتعلق بالخيالات التي لا حقيقة لها .

■ ذكر المصنف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - لتحقيق مقصود الترجمة ثمانية أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ [الأعراف : 131] الآية .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

📎 والطائر القدر الملازم ؛ أي : قدرهم ، ■ ففيه إبطال الطيرة لانتفاء تأثيرها .

📌 الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ... ﴾ [يس : 19] الآية .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ .

📎 أي : قدركم الملازم لكم ، ■ ففيه إبطال الطيرة بإثبات القدر بأنه لا تأثير لها .

📌 الدليل الثالث : حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة . » الحديث ، متفق عليه .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « ولا طيرة » . ■ ففيه نفي الطيرة الدال على بطلانها ، وأنها لا تؤثر أبداً .

📌 الدليل الرابع : حديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة . » الحديث .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « ولا طيرة » ، على ما سبق بيانه في الدليل المتقدم .

📌 الدليل الخامس ؛ حديث عروة بن عامر ، لا عقبه بن عامر ، ورواه أبو داود . وعروة تابعي ، فحديثه مرسل .

■ والمرسل من أنواع الحديث الضعيف .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : « ولا تردّ مسلماً » .

■ ففيه إبطال التعلّق بالطيرة ؛ لأنها تنافي إسلام القلب لله ، فالمسلم قلبه لله من المسلمين لا يعتقد أن الطيرة تؤثر في قدر الله .

👉 وقوله ﷺ : « أحسنها الفأل » لا يعني أن الفأل من الطيرة ، لأنه ﷺ نفى الطيرة قبل ذلك نهياً عنها ، ثم بين إعجابه بالفأل .

■ لكن المقصود : وجود اشتراك بينهما ، وهو التأثير .

■ فلاشتراكهما في وجود التأثير جيء بأفعل التفضيل في قوله : « أحسنها الفأل » ، وهي تكون بين مشتركين في جنس .

📎 والفرق بينهما :

◆ أن التأثير الموجود في الطيرة : باعث محرك أي أصل المحرك على الفعل .

◆ أما التأثير الموجود في الفأل : فهو مقوٌّ مرعَّب .

الدليل السادس : حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعاً قال : «الطيرة شرك . .» الحديث . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وإسناده صحيح . ■ وأخره وهو قوله : «وما منا إلا ، ولكن الله يُذهب بالتوكل» ، هو مدرج من كلام ابن مسعود وليس من كلام النبي ﷺ .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «الطيرة شرك» . ■ والتكرار للتأكيد .

الدليل السابع : حديث عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ . .» الحديث . رواه أحمد وإسناده ضعيف .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «فقد أشرك» .

■ فجعل الطيرة شركاً ، وهذا المعنى موجود في حديث ابن مسعود ، ففيه التصريح بأن الطيرة شرك .

الدليل الثامن : حديث الفضل بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنه ﷺ قال : «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» الحديث . رواه أحمد أيضاً ، وإسناده ضعيف .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله ﷺ : «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» .

■ خبراً عن حقيقتها ، أنها تكون كذلك ، فتحمل العبد على المضي أو الرد .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : التَّنْبِيْهُ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : 131] ، مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ [يس : 19] .

الثَّانِيَّةُ : نَفْيُ الْعَدَوَى .

الثَّالِثَةُ : نَفْيُ الطَّيْرَةِ .

الرَّابِعَةُ : نَفْيُ الْهَامَةِ .

الخَامِسَةُ : نَفْيُ الصَّفْرِ .

السَّادِسَةُ : أَنَّ الْفَالَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ؛ بَلْ مُسْتَحَبٌّ .

السَّابِعَةُ : تَفْسِيرُ الْفَالِ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ ؛ بَلْ يَذْهَبُهُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ .

التَّاسِعَةُ : ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ .

الْعَاشِرَةُ : التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطَّيْرَةَ شِرْكٌ .

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ : تَفْسِيرُ الطَّيْرَةِ الْمَذْمُومَةِ .

قوله : «الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة»

قوله «المذمومة» ، وصف كاشف فكل طيرة مذمومة ، لا يراد به التخصيص بأن منها ما يُذَمُّ ومنها ما لا يُذَمُّ .

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : قَالَ قَتَادَةُ : «خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلَامَاتٍ يَهْتَدَى بِهَا ، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ» . انْتَهَى .
وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعْلَمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ ، وَلَمْ يَرْخُصْ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ . ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا .

وَرَخَّصَ فِي تَعْلَمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ ، وَمُصَدِّقُ السَّحْرِ» .
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

مقصود الترجمة : بيان حكم التنجيم ، وهو النظر في النجوم للاستدلال بها على التأثير أو التسيير .

♦ فالتنجيم نوعان :

1 أحدهما : تنجيم التسيير ؛ وهو النظر في النجوم للاستدلال بحركات سيرها على الجهات والأهوية -أي احوال الجو- .

👉 وهذا جائز عند جمهور العلماء وهو الصحيح .

2 والآخر : تنجيم التأثير ؛ وهو النظر في النجوم لاعتبار تأثيرها في الحوادث الكونية .

♦ وله ثلاثة أقسام :

1 القسم الأول : اعتقاد كون النجوم مستقلة بالتأثير ، مدبرة للكون بحركتها ، وهذا كفر أكبر مخرج من الملة .

2 القسم الثاني : اعتقاد كونها مرشدة إلى الغيب دالةً عليه بما يكون بينها من الائتلاف والافتراق ، وهذا كفر أكبر أيضاً .

3 القسم الثالث : اعتقاد كونها سبباً غير مستقل بالتأثير ؛ بل تابع قدر الله ، وهذا مختلف فيه بين الجواز والحُرمة .

■ والمشهور عند علماء الدعوة الإصلاحية أنه محرم لا يجوز .

👉 وأصح القولين جوازه . 🖐️ وهو اختيار ابن تيمية الحفيد ، كالواقع في الخسوف والكسوف والجزر والمد .

■ فإن هذا يكون بأسباب تتعلق بحركة النجوم والكواكب على اختلافها .

■ فمتى عُرف بطريق صحيح وقوع ذلك التأثير واعتقد كون ذلك سبباً كان جائزاً .

■ ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة :

📌 الدليل الأول : حديث قتادة أحد التابعين وهو قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال : «خلق الله هذه النجوم . .» الحديث .
علقه البخاري في صحيحه ، ووصله عبد بن حميد في تفسيره ، وإسناده صحيح .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في حصره مقاصد خلق الله النجوم في ثلاثة أشياء ، ثم قوله : «فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ
اِخْطَا ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ» . ■ مما يفيد حرمة علم النجوم التأثري .

📌 الدليل الثاني : حديث قتادة أيضاً أنه كره تعلُّم منازل النجوم ، رواه حرب الكرماني في مسائله .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في كراهته تعلُّم منازل القمر ، فالكراهة عند السلف - كما تقدم - تُطلق ويراد بها التحريم .
📎 ومنازل القمر هي : مواضع نزوله المقدرة في سيره ، والذي كرهه قتادة هو من علم التسيير ، وتقدم أن الصحيح جوازه .

📌 الدليل الثالث : حديث سفيان بن عيينة أنه لم يرخص في تعلُّم منازل القمر ، رواه حرب الكرماني أيضاً .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة : في عدم الترخيص - أي : منع الإباحة - فهو عنده ممنوع ، وهو يتعلق أيضاً بتنجيم التسيير .
👉 وتقدم أن الراجح جوازه على مذهب الجمهور .

📌 الدليل الرابع : حديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة . . .»
الحديث ، رواه أحمد وابن حبان وإسناده ضعيف ، ويُروى في معناه أحاديث عدة لا تسلم من ضعف .

🕒 ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «ومصدقٌ بالسحر» ، لأن التنجيم على اعتقاد التأثير من جملة السحر .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ .

الثَّانِيَّةُ : الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ .

الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ .

الرَّابِعَةُ : الْوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السَّحْرِ ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ .

📌 قوله : «الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل» ، أي : لإرادة معرفة علم التسيير المتعلق بالأحوال والأهوية .

بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة : 82] .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهَا : الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالْإِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ» ، وَقَالَ : «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا ؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَاحَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا ؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» .

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ ، وَفِيهِ : قَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نُوءُ كَذَا وَكَذَا ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة : 75] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة : 82] .

مقصود الترجمة : بيان حكم الاستسقاء بالأنواء ، أي : نسبة السقيا بنزول المطر إليها .

والأنواء : هي منازل القمر ، إذا سقط واحد منها سُمي نُوءًا ، فهو نُوءٌ باعتبار المسقط لا المطلق .

□ ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لتحقيق مقصود الترجمة أربعة أدلة :

📌 الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة]

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ .

📎 والمراد بالرزق : المطر ، كما يدل عليه سبب نزول الآية .

■ وتكذيبهم هو في نسبة سقيا المطر إلى الأنواء .

📌 الدليل الثاني : حديث أبي مالك الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قال : «أربع في أمتي . . .» الحديث .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في قوله : «من أمر الجاهلية» مع قوله «والاستسقاء بالنجوم» .

■ فجعلها من أمر الجاهلية ، وتقدم أن ما أضيف إلى الجاهلية فهو محرّم .

📌 الدليل الثالث : حديث زيد بن خالد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال : «صلى لنا رسول الله ﷺ . . .» الحديث متفق عليه .

○ ودلالته على مقصود الترجمة في تسميته : «مَنْ قال : مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا كافراً» في قوله : «فذلك كافر بي مؤمن

بالكوكب» .

👉 والكفر الواقع منهم كفر أصغر ؛ فإنهم قالوا : مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا ؛ أي : بسبب كذا وكذا ، فجعلوه سبباً ، ولم يجعلوه

مُسَبِّباً . 📌 جزم بهذا حفيد المصنف سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد .

📌 الدليل الرابع : حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بمعنى حديث زيد ، وهو عند مسلم وحده دون البخاري . ففي عزوه

لهما نظر .

○ ودلالته على مقصود الترجمة كسابقه .

فِيهِ مَسَائِلُ :

الأولى : تَفْسِيرُ آيَةِ الْوَاقِعَةِ .

الثانية : ذِكْرُ الْأَرْبَعِ النَّبِيِّ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ .

الثالثة : ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا .

الرابعة : أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ .

الخامسة : قَوْلُهُ : «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» ؛ بِسَبَبِ نَزُولِ النَّعْمَةِ .

السادسة : التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

السابعة : التَّفَطُّنُ لِلْكَفْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

الثامنة : التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ : «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا» .

التاسعة : إِخْرَاجُ الْعَالَمِ لِلْمَتَعَلِّمِ الْمَسْأَلَةَ بِالْإِسْتِفْهَامِ عَنْهَا ؛ لِقَوْلِهِ : «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» .

العاشرة : وَعِيدُ النَّائِحَةِ .

قوله الثامنة «التفطن لقوله صدق نوء كذا وكذا» .

أي أنهم لا يريدون أنه أنزل المطر بنفسه ، لكنه سبب له وهذا السبب باطل ؛ ولذلك أنكرت عليهم مقاتلتهم التي تكلموا بها .

♦ وإضافة أحوال الجو والأهوية الى الأنواء تحيء على ثلاثة أنحاء :

1 : أن تضاف إليها إضافة تسبیب ، بأن يُعتقد إستقلالها بالفعل ، وهذا كفرٌ أكبر .

2 : أن تضاف إليها إضافة سبب ، فيعتقد أنها غيرٌ مستقلة بالتأثير ، وهذا كفرٌ أصغر .

3 : أن يُضاف إليها إضافة ظرفٍ أي زمناً لذلك فهذا جائز ، [كقولهم إذا طلع سهيل فقد برد الليل] .

■ وأصله حديث «إذا طلعت الثريا إرتفعت كل عاهة» ، والمقصود أن طلوعها ظرفٌ لسلامة الثمار من الآفات والعلل .

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ

...***...